

مبادئ تقدم الخريون

بحث أفرقي ودرسي اجتماعي

بقلم

محمد علي إبراهيم الفهمان

العدني

حقوق الطبع محفوظة

مطبعة الشورى مصر

ع/ع-ل-١٥

مطبعة الشورى مصر

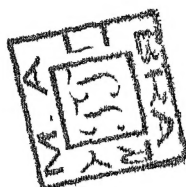
حقوقي الطبع محفوظ

36 23 111 99

المدني

محمد بن عبد الله بن محمد

بسم



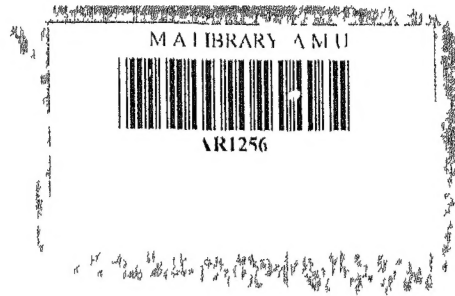
مكتبة أماني ودرسي اجتماعي

مكتبة أماني ودرسي اجتماعي

Presented by the author to:
the Lytton Library
Muslim University
Alipah 18/7/36
M. A. H. H. H.



رسم المؤلف
محمد علي ابراهيم لقمان



1709

CHECKED 1996-97

الأهداء.

مهدي النعمري

الى الشرق

مهديط الوحي

الى الجزيرة العربية

وطني المحبوب

الى عمه

الى والدي ومهذبي

على ابراهيم لقمانه (خانه بهادر)

محمد علي ابراهيم لقمان

عدن

كلمة أمير البيان

لما بلغت مسامع عطوفة المجاهد الاسلامي الأكبر الأمير
شكيب ارسلان خبر وضع هذا الكتاب ، وكان عطوفته
يحسن ظنه بالمؤلف الذي يمد نفسه من أبنائه المخلصين ، تلطف
على بهذه الدرة السنية قال ادامہ الله :

اتصف أهالي اليمن بركة الأفئدة كما جاء في الحديث ، وبشدة
الذكاء وشغوف الحس كما أجمع الناس في القديم والحديث ، وإن من
الأمثلة البارزة على هذه الحقيقة في هذا العصر ما نقرؤه في الأحيان
لخضرة الكاتب البارغ الآتي بالبدايع السيد محمد علي إبراهيم لقمان
الذي لا يزال يهدي اللغة العربية وابتاءها من نقشات قلمه ما يسحر
الأنباب . ولا عجب أن تنسب إلى لقمان الحكمة وفصل الخطاب . فما
شئت في أنشائه من احكام سديدة ، ونكات فريدة ، ومعان رفيعة
وعبارات سهلة منيعة ، واطلاع وافر ، واحاطة تعد من النوارد . ولقد
بلغني انه كتب في اسرار تقدم الغربيين كتاباً هو تحت الطبع فهنأت
مطالعي ذلك الكتاب بما سيجدونه فيه من الحقائق بأحسن الاساليب
لأنني وإن كنت لم اطلع على هذا التأليف حتى الآن فاني اعلم ان
كاتبه ممن يصيب المحز ويطبق المفصل ، وانه اذ ارى قرطس ، واذا جبر
جاء بالطراز الأنفس . فقياساً على ما سبق يمكنني ان احكم ان هذا
الكتاب فذ في بيان وبرهانه ، والمكتوب كما قيل يعرف من عنوانه .

جنيف ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٣٥٢ م شكيب ارسلان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة المؤلف

إن امتلاك أوروبا لناصية الشرق يجعلنا ننظر إليها نظر الأكابر الممزوج بالخوف والاحترام ، وما كان ذلك إلا نتيجة جهاد عيف قام به الأوروبيون منذ ألف سنة لتوطيد أقدامهم في ربوع المسكونة وإسعاد أوطانهم بالتسلط على مرافق العالم وخيراتہ بلوغ أوج السكال في التمدن البشرى . وهناك اسباب عديدة مكنت أوروبا من الرق المدهش الذى وصلت اليه وأهمها في العصور الأخيرة التحلل الرابطة بين الشعوب الشرقية . وإني في كتابي هذا لا أحب أن اخوض غمار البحث في الأسباب الطبيعية والجغرافية التى هيات لأوروبا هذا النجاح ، لأن العلماء قد قاتلوا ذلك الموضوع درساً ونقداً رغم ان تلك الآراء لا تزال عرضة للجرح والتعديل ، وقد أدلى بدلوى بين الدلاء في آخر هذه العجالة ، ولكن محور البحث فيما سأقدم عليه ، هو أخلاق الأوروبيين التى مكنتهم من التسلط على الشعوب والفوز في مضمار الحياة والوفوف أمام نكبات الزمان وقوف الرواسى ، كل ما اضمحلت فيهم دولة قامت على أنقاضها دولة أخرى . وهذا التاريخ شاهد على ما أقول . فان أكثر دول أوروبا قد استعمرت أملاكاً واسعة في العالم . وكل دولة بدورها اضاعت ذاك الكنز . وها نحن نرى انكلترا وفرنسا وإيطاليا وروسيا وهولندا على الميزان . وسنرى في القريب العاجل ان يك في صالح البشرية بقاء المستعمرات في ايدي المستعمرين ام لا ، وهل الدول المذكورة صالحة للسيطره عليها ام غير ذلك ؟

ان الموضوع الذى أخذت على عاتقي الكتابة فيه وعر المسالك ، كثير الاغوار ، ولكنى سأقول كلمتي المقرونة بحسن النسة مستنداً على ملاحظاتي الشخصية للأوروبيين

الذين عشت معهم السنين الطوال من الإنكاريين وأقرنيسيس، الماني وروس وطلين
وبلجيك وهو لا ندين ودانماركيين ونمساويين واسبانيولين وغيرهم ، ومستعينا بما
طالعته في كتبهم . وأنا اليوم في العقد الرابع من العمر قضيت أكثره بين الاوربيين
لا أنفك ألاحظ اخلاقهم عند كل كلمة ولدى كل بادرة ، ولهذا لن أبحث في أى خلق
يشترك فيه الاوربي والشرقي ، بل سيكون همى هو ذلك السلوك الذى صار أظهر
ما يكون في الافرنج والذى بمببه نجحوا نجاحا بهر العالم المتقدم ولا أقول ان الشرق
تنقصه هذه السحايا ولكنه نسيتها وتعودها الاوربي فصارت فيه غريزة . سواء في
ذلك الصغير والكبير والصعلوك والامير رجلا كان أو امرأة ، على حد سواء . ومما
هو أن يتحلى بهذه الاخلاق أبناء الشرق فينبون مدنيته على اقتاض الثقافة الاوربية
الرائلة والحضارة الافرنجية المتهدمة . لأننا والحق يقال أمام حادث تاريخي قد يعيد
لنا ذكرى سقوط الاندلس وقيام أوربا . فعسى أن يقوم الشرق في ساعة احتضار
الغرب باستعادة مدنيته وحضارته

وقد برهنت الحبشة في أواخر القرن الماضي على قوتها عندما وقفت في وجه
ايطاليا تمنعها من التخاذها هنداحرى ، كما أظهرت اليابان ضعف روسيا في سنة ١٩٠٥
وكما أثبت الشرق أنه قادر على الاحتفاظ بكيانه عند ما تقهر اليونان أمام الأتراك
في حرب الأناضول الأخيرة وخرج الإنكاريين في الاستانة ولا حاجة الى ذكر
أسباب الحرب العظمى وما تدل عايه من الشقاق بين دول أوروبا بأجمعها

محمد على ابراهيم لقمان

كيف تقدم الاوريونيه ؟

إن هذا السؤال وايم الحق لجذاب يستهوى النفوس الضائعة الى سماع الجواب ، كيف لا وتحت هذا السؤال المعجز تنطوى سير أطاظم رجال التاريخ وتتشايش حياة كثير من أمم العالم ، ويضع بين طياته تاريخ دول كانت فيما مضى تقول وقولها الفصل ويتضائل أمامه عمل أعظم جبايرة البشر ، وأى عظمة تضاهى اليوم عظمة أوروبا ، ومجدها وقوتها الهائلة التى تزلزل جبالها الراسيات ، ويقف الرعد القاصف عندها واجما ، وتستكن الصواعق ويهدأ تأثير البراكين ، لئلا يعمل ذلك الدماغ الاوروي الهائل مبتكر الكهرباء والبخار واللاسلكى والديناميت والطيارة والمدفع ، فيخلف من الاثير قوى تذهب بتلك الظواهر الطبيعية الى بيساء الزوال ومهواة الاضمحلال ! !

يستغرب المرء كيف ان هذا الانسان الاوروي الذى لا يخرج عسلا كالنحل ، ولا مسكا كالغزال ، ولا حريرا كدودة القز ، ولا سما قتيماً كالأفعى ، هذا الانسان الضعيف المعرض للأمراض الفتاكة من حمى وجسدى وطاعون وأوبئة عديدة قد أخضع الطبيعة وأجبرها على أن تخدمه خدمة العبد لسيدته حتى شارك الطير فى ملكوته ، والحيوت فى أعماق بحاره ، والشرق فى خيراته ، دانت له الرقاب ، وعنت العباد وتضاغرت النفوس أمام هذا المخلوق الذى لا يعرف للمستحيل معنى ، ولا الكلال مرادفاً ، وما ذلك الا لأنه خرج من قيود الرجعية الى ميادين العلم والعمل ، فتعلم اللغات على اختلافهما ، وأخذ الحكمة انى وجدها ، ونشر العلم وعظم رجاله ، وكرم أبطال التاريخ واحترم النظريات العلمية ، وحاج رداء الجحود ، وفنسل أمته على سائر الأمم ، وقرر انه أشرف الناس طراً ، وانه عين الوجود والمقصود من التكوين ! ! جاء الافرنجى الى الشرق فلم يقتد بتلك العادات التى كانت منتشرة بين بعض الناس متى وجدها لاتلائم ذوقه ولا توافق مشربه ، ولكنه أخذ عن الشرق الفلاسفة والحكمة والأدب والتصوف والرسم والنقش والعمارة وغير ذلك ، وهكذا ميز بين الطيب والخبث ، وعمل الشرق بعكس ذلك ، فتقدم الغرب وتأخر الشرق ، وأعظم بلوى أصابت المسلمين هى انتشار شرب الخمر بين طبقاتهم لأن الكحول فى

جسم المسلم لا ينهضم فيؤدى بحياته ، أما الافرنجى فذهبه الاعتدال فى كل عاداته الا فى الضغط على من يسودهم فانه فى ذلك المضمار لا يجارى ولا فى الخروج عن حد المؤلف . والله غوستاف لوبون حيث يقول « ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب » فانهم جلبوا السعادة للممالك التى فتحوها أما أوروبا فجلبت على الشرق التعاسة وأخرت سير التمدن فيه اجيالاً عديدة ولولا الاستعمار لكان الشرق كله كاليابان على الأقل .

نظام المدارس

من أهم أسباب رقى الأوروبيين نظام المدارس ووسائل التربية فيها وتعليم البنات على وجه الخصوص واليك التفاصيل :

ان أعظم ما يؤثر على الانسان فى حياته هو خاق والديه والمدرسة التى ينشأ فيها ، ثم البيئة التى يسكنها والعقيدة الدينية التى تتغلغل فى أعماق نفسه . وأما عند ولادته فان دماغ الطفل يكون عبارة عن صحيفة بيضاء تنطبع فيها وترسم جميع حوادث الحياة من أفراح وآلام ، وأورو با تجعل بنيتها يعتمد كل فرد منهم على نفسه ولهذا فان أكثر الاطفال يدخلون المدرسة فى عهد الطفولة ولا يفارقونها الا الى ميادين الكفاح .

ان أزل ما يعتنى به المدرسون فى المدارس والكلديات والجامعات الاوروبية ، هو تهذيب أخلاق التلامذة وافهامهم معنى الحياة ومهام مقدمون عليه من نضال وتنازع ، فيأخذ الطفل عن أساتذته دروساً فى شتى الفنون والعلوم ، وقلماً تجد فيهم شاباً غير مسلم بقسط وافر من علم النفس ، كما تجد المعلم يعل على تلامذته العلوم الكثيرة ويشوقهم الى الارتشاف من مناهما العذبة مما يجعل أنفسهم فى تعطش مستمر ، وكذا فى المدرسة يتسلم الناشء كيف يكون معتمداً على نفسه عاملاً بقول الشاعر :

وانما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول فى الدنيا على رجل

ونظام التعليم فى أوروبا مبنى على أسس علمية كما هو شأن الأوروبيين فى جميع المواطن فقاموا بحمد معلميهم غير متخرج من دار المعلمين حاملاً شهادة العالمية فى

أصول التربية والتأديب وعلم النفس وعلم الصحة ، فهو يعرف كيف يعلم ومن يعلم وما يعلم . ومجد العلوم والفنون تعلم على اختلافها وتعددتها ، فيختار منها المرء مايلذ له منها وما يلائم مشربه ، وكذا قل عن الصناعات والأعمال . والمدارس تحتوى على ميادين الرياضة ، والمكاتب الحافلة بأثمن الكتب والمتاحف ، ودواوين المحاضرات والمناظرات ، وأماكن العبادة ووسائل التزهة وترويح النفس بالنظر الى الصور المتحركة والتمثيل وسماع الموسيقى وهلم جرا ، فيتعلم التلميذ في المدرسة كل ما هو بحاجة إليه في الحياة القادمة . حتى اذا خرج الى ميدان العمل لا تقاومه صروف الزمان ولا كوارث الدهر ، اذ يكون قد اعد لها العدة ، ولا يكون كذلك السجين الاميريكى الذى حكم عليه بالحبس المؤبد فابث في السجن ٦٠ سنة وعند ما افرج عنه مدير سجن سنغ . خرج فوجد عالما غير عالمه ورأى هرجا ومرجا وخلقا غير من عرف . فماد ادراجه ولسان حاله « ليس هذا بعشاك فادرجى » وذهب يتوسل الى مدير السجن ان يعيده الى السجن ! وهذا هو حال الشرق اليوم حيث يبقو التلميذ في المدرسة كأنه سجين ، واذا قذف به في مهامه الحياة وجد نفسه في بحر خضم تتهاذفه أنوائه وتهزأ به أمواجه ، وهو غصن رطب لا يقوى على مقاومة ذلك التيار الجارف فيقع ، ولا يسدر على القيام من كبوته ، والده جاهل وأمه أجهل وبيئته متأخرة وذووه لا يفهمون معنى الحياة ، خلافاً للأوروبي الذى يجد أما هذبتها الجامعات وثقفتها الحضارة وعلمتها التجارب ونورها الملاحظة ، فتكونت منها قوة مغنطيسية تؤثر على أبنائها فتجعلهم رجالا عامين يخضعون العالم بأسره لأرادتهم ، ويوجد أبا ينأمر بالحياة حبا للمجد ويضحي بالروح حبا بالوطن ، ويأتى بالمحجزات في أثناء اقدامه ، واذا خرج من الدار الى الاصدقاء وحدهم في ميادين الرياضة يتبارون أو في النوادي يتناظرون أو في المنتزهات يقرأون الصحف ويتبادلون الآراء ، يلقون خطباء في كل مجتمع فتصنق لهم الجموع ، يا لله من قوم هم ! أفبعد هذا زيادة استزيد ؟ نعم ! ولكن الباع قصير والبضاعة مزججة ، بيد أنى سأعمل قصارى لاقول الحق « ولا تبغضوا الناس أشياءهم » .

هذه اليمين وتلك الحجاز ، وطف في الجزيرة العربية أنى أردت ، هل تجد جامعة وكلية أو حتى مدرسة على الطراز الحديث تخرج علماء كملى بن أبى طالب أو عبد الله بن عباس أو زيد بن حارثة أو عبد الله بن عمر أو أشتاتين ، أو أطباء كابن سينا أو باسطور . أو فلاسفة كابن رشد والفارابى وبرنادشو ، وتاريخيين

كأبن خلدون وابن خلكان والدكتور ولز ، أو قوادا كخاله بن الوليد أو عمرو
ابن العاص أو هندنبرج ، أو ملوكا كالرشيد وعبد الرحمن الأول الأندلسي وأكبر
خان وصلاح الدين الأيوبي ؟ أم هل فيها نوادي يؤمها مؤسسوا النهضة كجمال
الدين الافغانى ، والشيخ محمد عبده وصن يات صن وغاندى والامير شكيب أرسلان
وأمشاهم ؟

إذا أردت أن تبكى على العرب فابك عليهم بملء عينيك ، فاما أن يقوموا اليوم
وإما أن لا يقوموا أبداً

إن العقيدة الدينية فى أوروبا بوجه الاجمال قد ضعف جبابها وتفككت عراها ،
وما ذاك إلا لأن رجال الاكايروس أرادوا إخضاع الامم للجهل وإيقائها فى
دياجيره ، ولذلك حاربوا العلم وأهله حتى خرج عليهم لوثير الشهير وتبعه كالفين ،
وكانت تلك الحركة الاصلاحية التى هذبت النفوس وأبرزت رجالا هم غرر التاريخ
الحديث فى الأدب والفلسفة والعلوم على اختلافها وانفون جميعها أما الديانة
الاسلامية فهى والحق أحق أن يتبع الشريعة السمحاء والمحجة البيضاء التى تشجع
على ارتشاف لبان العلوم ولا تقف حجر عثرة فى سبيل رقى الانسان بل تدله على
طرق التقدم وتأمره بالاستعداد وتمنحه الحرية المطلقة فى عقيدته ؛ لأن الحرية
وحدها هى الكفيلة بانتصار الحق وتقدم العالم نحو السكال .

تعليم البنات

الأم مدرسة إذا أعدتها أعددت شعباً طيب الأعراق
ان مناخ أوروبا وطرق التربية والتهذيب فيها جعلت كل فرد يعتمد على نفسه
سواء الرجل والمرأة ؛ لأن الحياة تقوم هنالك على مبدأ التعاون والتعاون لا يكون
إلا إذا كان هناك اعتماد على النفس وعدم تواكل بالمرء ، والاوروبى محتاج إلى
المرأة لمساعدته فى كسب العيش لأن أوروبا على وجه الاجمال لا تقدر أن تعتمد
على حاصلاتها لتقوم بأودبنيها اللهم الا روسيا وألمانيا نوعاً ما خلافاً للشرق فانه
فى الصين والهند لا يحتاج الى شىء من الضروريات ، ورغم أن العربى فى نجد والحجاز
محتاج لكثير من لوازم الحياة وكذا فى بعض أقسام اليمن فان البلاد قادرة على القيام
بحاجة بنيتها على وجه الاجمال ، وبما أن سكان هذه الممالك قليلون فان الحاجة لاتدعو

الى استخدام المرأة كما هو الحال في أوروبا ، واذا رجعنا الى التاريخ وجدنا أن الصين والهند في العصور الغابرة لم تستعمر البلدان كما فعل العرب والفرس الذين كانوا في زمن ما من كبار دول الاستعمار ، وقد كان الحجازيون حملة أولية الدولة العربية للحاجة الداعية الى المستعمرات من جهة ولنشر الثقافة الاسلامية في جهة أخرى ، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث من بينهم

بعد هذه المقدمة يتضح للقارئ الكريم أن عمل الاثنين هو أجدى وأنفع من عمل الفرد ، وأن المرأة اذا قامت بخدمة الرجل ومساعدته فانها بذلك تمكنه من القيام بمجالات الأعمال ، وانى لأجد في المسلمين من يحتج بسبب معقول على عدم نشر المعارف بين النساء سوى الخوف من تبرجهن وخروجهن عن حدود الأدب والحياء ، لأن مدام كورى مكتشفة الراديو لا تزال تقية تقية وأن العلم لم يزلها الا ورعاً وشرفاً ، وانى أذكر قومي بأن التعاليم الدينية الاسلامية قينة بحفظ نساءنا من جميع الموبقات اذا علمناهن كما يجب لأن الأخلاق الفاضلة لا تسكتسب بمجرد الحجاب وراء الحيطان أو بتغطية الوجه اذا كان العقل فارغاً من كل النظريات الأخلاقية الكاملة ، ولا أقول دعوا النساء سوافراً لأن الحجاب هو سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأمره جدير بالاتباع خصوصاً بعد أن رأينا ما أصاب أوروبا من الانحطاط بسبب خلاعة النساء ، لكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا بتعليم النساء وقال لنا : انهن سيتعلمن بأعناقنا يوم القيامة لتركن يرسفن في أغلال الجهل ، وعاد على المسلمين أن يشاهدوا تقدم الأوروبيين تقدماً استأسر الشرق وخاب لبه ويتركون بعد ذلك أمهات الغد في ظلمات فوقها ظلمات .

عار عاينا انسا عار على هذا الزمن

أى فرق بين الحيوان الأعجم وبين زوجة تخطبها عن الحياة فلا تفهم منها شيئاً ، ليت شعري أى مصاب أعظم من مصاب الأديب اذا وقع في أحضان من لا تفهمه ولا تقدر شعوره ، وأى سعادة أعظم من سعادة ذلك المهذب حين يصل البيت فتتأقاه شريكة الحياة بكلمات تؤاسيه وأخلاق تسايه ، وقد ترتبت دارها وجيزت الثروت ونظمت دروس بنينا وسمعتهم يقرأون أمامها وأتت زوجها تروح عنه الكرب بالشعر والبيان تستشهد بشعر شوقي وبيان حافظ وخيال المنفلوطى وحكمة المعرى وبلاغة المتنبي وفصاحة القرآن ، وتستشير في أحوال الدنيا وتسأله عن حوادث العالم وعن أعمال ادارته وتساعده قليلا في حل ما اشكل عليه من معضلات وهم جرا .

ليت شعري أيأتي ذلك اليوم ويتحقق هذا الحلم أم نحن في سبات الموت غرقى ؟
بشر الشرق وبشر المسلمين انه اذا جاء هذا اليوم فلا يكون الا والشرق مرة أخرى
سيد الغرب ، والتاريخ يعيد نفسه .

بلغ الامام القاسم من أئمة صنعاء اخبار فتاة من بنات اليمن حوت الفضل والعلم
والأخلاق والجمال فخطبها الى والدها وزفت اليه بكل خفاوة . وخرج الامام
لاستقبالها الى خارج العاصمة وعند مقابلاتها في خيمتها سلمت عليه فرد السلام
وسألها قائلاً : « أرجو أن لا تكون أتعبتكم الجمال أثناء السفر » فأجبت لأذم
العيس ، وعند هذا الجواب أخذ الامام الطرب فتواجد جذلاً ، وقد كان استشهادهما
من قصيدة ابن النحاس حيث يقول :

بات ساجي الطرف والشوق يابح والدجى أن يمض جنتح يأت جنتح
وكان الشرق باب مغلق ماله غير ملووع الصبح فتح
لا تسأل عن حال أرباب الموى يابن ودى مالهذا الخال شرح
يوم منا الركب بالركب التقي وقضى حاجته الشوق المامح
لأذم العيس للعيس يد في تلاقينا وللأسفار نجح
قربت منا نساء نحو فم واعتنقنا فالتقى كشح وكشح
لقد نسي ذلك الامام الجليل ملكه وعظمته ووقاره وجنده وغناه أمام ذلك
الأدب المتدفق الذي تنوع شذاه وفاحت روائحه فأسكرته من غير شراب وأنسته
الدنيا وما فيها وحقرت في نظره كل لذة دنيوية وجماته يتذكر في لحظة كوميص
البرق كل بيت في قصيدة ابن النحاس .

وهكذا هكذا نلتكن الزوجات الفاضلات المهنات ! فانه لا يرجى للمسلمين
تقدم ونساءؤنا في وديان الخول يرتعن ويعتقدن بالاساطير ولا يفهمن في العلوم
الدينية والدنيوية شيئاً فهذه مصابة بالزار وتلك بالسير وأخرى أفلقت راحتها
الأرواح الابليسية وقد تعاقت بالأوهام ورضعن لبان الجود ووجدن انه لا وظيفة
لهن في هذا الوجود سوى اشباع شهوة الرجل .

حرام على المسلمين ان يرضوا لبناتهم هذا الانحاط الادبي والتأخر الاخلاقي
وهم يرون بأم أعينهم تدهور الانباء بسبب جهل الامهات ، ولينظروا الى أوربا
فيجدون العالمات المهنات والصحافيات الرقيات والمحاميات والوزيرات والطبيبات
الخ ، اليس من العار أن عدن مثلاً ليس فيها معاملة واحدة عربية تجيد القراءة

والكتابة والحساب ؟ اليس من الحرام على مسلمي عدن أن بناتهم يذهبن لقمة سائغة
للمبشرات ويصرن الى مهواة الفساد الديني والاخلاقي ؟
ما بال مس نايدو الشاعرة الهندية لم يفسد أخلاقها العلم والأدب ؟ إن العلم
يصاح ولا يفسد والله يهدي من يشاء .

الاعتماد على النفس

لله در شوقي حيث يقول :

وانما الامم الاُخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
ولعمر الحق ان الأمة لا تسود بقوتها ولا بفتاها أكثر مما تسود بمثانة اخلاق
بنينا وهذه دولة العرب في أيام سؤددها وفي زمن عزها ومنعتها لم يقدها الى
مبادي المجده ولم يتوج رأسها بتيجان الشرف والرفعة سوى اخلاق بنينا الأماجد
خذ مثلاسيد قريش بل سيد البشر قاطبة « محمدآ » صلى الله عليه وسلم يقف داعياً الى الله
وحده ولا يسأل في بادئ الأمر مساعدة زيد ولا عمرو فتقف في وجهه العقاب
ويعذّب ويتعب ويهان ثم تعرض عليه الرئاسة والغنى فيرفض كل ذلك بلاء وشتم
قف دون رأيك في الحياه مجاهدا ان الحياه عقيدة وجهاد
ثبت صلى الله عليه وآله وسلم حتى عنت النفوس لأرادته صاغرة :
سعت وعزمت في المهمات صاحبي وغامرت فرداً والزمان محاربي
الى أن رأيت الدهر ياتي قياده الى ويدني ما نأى من مآربي
هذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يحذو حذو نبيه وزوج ابنته فيقف يوم
ارتداد بعض اجلاف العرب قائلاً والله لو منعوني قتال بغير كانوا يؤثونه النبي
صلى الله عليه وآله وسلم لحاربتهن من أجله ولو بقيت وحدي

فانما رجل الدنيا وواحدنا من لا يعول في الدنيا على رجل
وبمثل هذا الاعتماد على النفس وعدم الاعتماد بأحد وعدم التواكل ، ملك
العرب ذاك الملك المسترعى الأطراف ووطدوا أقدامهم في تلك الامبراطورية
الواسعة الأرجاء وهانحن اليوم نرى هذا الخلق المتين يتخلق به الأوروبيون
فيقبضون به على ناصية العالم المتمدن واليك « كرسوف كولمبوس » يذهب الى أميركا
وحده بعد أن خذله كل الناس تقريباً ويكتشف تلك القارة الهائلة الغنية التي أصبحت

وطناً جديداً لهم لا يشاركون فيها أحداً إلى أن وضع منزول تلك القاعدة الذهبية وهي أميركا للأميريكاني وقد اقتنى أثر كولمبوس « السرفرانسيس دريك » البحار البريطاني المقدام الذي طاف حول العالم واخترق الاقيانوس الأطلسي والمحيطين الهادى والهندي. ومن الذين برزوا في أبهى حلل الاعتماد على النفس السكولون « لندبرج » الطيار الأميركي الشاب الذي أخضع الجو لارادته الحديدية وذلك في رحلته المشهورة على متن طيارته من أميركا إلى لندرا وباريس في ساعات قيل انها ٣٦ ساعة فكان أول من اقتحم المحيط طائراً .

إن الغربيين يعتمدون على أنفسهم اعتماداً كلياً فتري أفراد العائلة كل مسئول عن نفسه متى بلغ سن الشباب ، ويكاد الرجل لا يكون مسؤولاً حتى عن زوجته وابنته الشابة ؛ لأن كل واحدة منهن في استطاعتها أن تعتنى بأمورها الخاصة وتعمل للقيام بأود نفسها . ولنظام الحكومة أثر كبير في بلوغ هذه الغاية غير أنه يجدر بنا أن نفهم النتائج الناجمة عن مثل هذا الاستعداد في العائلات الأوروبية وأحسن مثل استشهد به هو الواقع في بعض أقسام الجزيرة العربية والهند .

نجد العائلة العربية المؤلفة من ١٥ عضواً فيها الوالد والالء والأولاد والبنات والأقارب جميعهم يعتمدون على فرد واحد هو رأس تلك العائلة عادة فإذا مات تشتت شمل هذه العائلة وذهبت بها عادات الدهر ادراج الرياح وتدهورت في بؤر الفساد وذهبت تتكفف أيدي الناس لأن أفرادها لم يعودوا الاعتماد على أنفسهم ومثل هذا الفرد يوحى اليه ضميره أن حياته غالية فإن كان عاقلاً صار لطيفاً ودوداً كريماً ساعياً في تعليم أفراد عائلته ، وإن كان جاهلاً شقيماً فهو يكون عادة متعطساً يعد نفسه شيئاً فتصير أخلاقه شرسة وهكذا تسوء حالة العائلة كلها ، وإذا ما أصاب ذلك الرجل تغير في أسباب ارتزاقه أو نسكة مالية أفقرته رأيت تلك العائلة التي يرأسها تسقط إلى هاوية الفساد. وعند حافلة بمثل هذه العائلات ، أما الأوروبي الذي لا يعتمد على أحد من أهله وذويه إلا في النادر فإنه يسافر ويغامر وقد يموت ولا يغير ذلك شيئاً في حالة عائلته ولا تتعطل مصالحها أو لا يتأخر أفرادها بذلك عن بلوغ مدارك السكال خالفاً لما يحدث في مثل هذه الأحوال بين العرب أو الهنود مثلاً ولما مات سيف الاسلام محمد رحمه الله قالوا لقد تأخر سير التقدم في اليمن سنوات وإذا مات زعيم إسلامي قالوا

« ياليت شعري من يقوم مقامه ويصعد عنا صولة الفجار »

وكل ذلك نتيجة التواكل الذي وصل بالشرق إلى أسفل دركات الذل والقهر لقد أهمل المسلمون واجبا نهم ولا يزالون . ألم تركيف أنهم كانوا يطلبون من الخليفة العثماني أن يقوم عنهم بكل ما يجب عليهم هم القيسام به حتى أضاعوا تلك الخلافة وأصبحوا يتأسفون على ضياعها ؟ ولقد حدث ذات مرة أن زرت عالماً وطلبت منه أن يساعدني على جمع إعانة لأهالي طرابلس حين عذبهم الطليان في سنة ١٩٣١ م فما كان منه إلا أن قال لي لنتركهم وشأنهم فإن الله معهم ! كلمة حق أريد بها باطل . . . نعم إن الله معهم ومع كل الناس ولكن المساعدة والتعاون والعمل من الأمور المطلوبة وإلا فأني لنا أن نفوز ونبلغ الغايات مادامنا لانعمل فهل يأتينا الرزق إذا لم نسع إليه ، وهل يذهب عنا الأعداء ونحن في ودیان الغفلة مستسلمون ، ألم يقل الله تعالى : « إن تنصروا الله ينصركم » وقال جل وعلا « إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم »

ومن البديهي أن الانسان إذا اعتمد على نفسه وعرف الناس فيه هذه المازية فانهم بدورهم يعتمدون على سلوكه المتين ويضعون فيه ثقتهم ومتى تبودلت هذه الثقة بين أفراد الامة قادتهم نحو التعاون الصحيح وأرشدتهم إلى تأسيس الشركات التجارية والزراعية والصناعية والأندية وغير ذلك . لهذا نجد أن أكثر أهالي أوروبا وأمريكا يتجرون بواسطة الشركات والمصارف ولكن هذه الوسائط الاقتصادية معدومة في الجزيرة العربية بل في الشرق عموماً مع أننا نرى أن شركة الهند الشرقية وطدت قدام الانجليز في الهند وشركة فرجينيا وضعت الحجر الاساسي لاستعمار الولايات المتحدة . فنفع الشركات لم يعد بالخير على مؤسسيها فقط بل عاد بالغنائم على أممها أيضاً .

نرى العائلة العربية في الجزيرة متحدة متحابية في حياة رئيس العائلة ويوم يموت تنفرك أيدي مساو تنقطع الرابطة الاخوية بين الاخوان وسبب كل ذلك عدم تبادل الثقة بينهم ؛ لان كل فرد يعرف في نفسه الضعف ويعرفه في أخيه وهكذا يسود التفرق والشقاق الهم الا في النادر والنادر لاحكم له ولا مشاحة ان للعلم تأثير أعظيما في تكوين الاخلاق كما للتربية الصحيحة ولكن للوراثة أيضاً أثرها ونقايد الآباء تراث الأبناء اذا ما ألقينا نظرة عامة على الشرق نجد أكثر الشبان قد أخذوا الى الكسل والحوال وقضوا عنفوان الصبا وزهرة الحياة في هو ولعب لا يفكرون في مستقبل ولا يعدون للأيام عدتها ، يسرحون ويعرحون وقايل منهم أهل الطموح

منتظرين ما تجود به عليهم الموارث خلافاً لآبناء الغرب فان المليونير العظيم المستر فورد أرسل وحيدته وورثة ليرثشف لبنان العلوم من معيها الذي لا ينضب ثم قاده الى المصانع والمعامل ليعمل فيها كأحد أفراد العمال ويكتسب قوته بعرق جبينه حتى يفهم قيمة الحياة ومعنى الحياة ومسرات الحياة وأتعابها : ولقد رأينا نجل فورد بعد هذه التجارب أصبح عاملاً نشيطاً في المجتمع البشري يصيف الى الغنى غنى وإلى الشهرة شهرة . خلافاً للواقع بين أظهرنا فان أكثر العائلات التي كان لها القدر المعلى واليد الطولى فى عدن والحديدة وبجي انسخ عاينها الدهر باثقاله وأكل عليها وشرب وأصبح أحفاد ماوك الاموال وأرباب الجاه يتكففون أيدي الناس

« قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير »

ان هذا الاهمال فى التربية للأولاد وعدم تغذيتهم بالعلوم قد تطرق الى العامة من الخاصة وقد عمت البلوى حتى أهل الامراء أفلاذ أكبادهم عن التحلى بالأخلاق الفاضلة والتزين بزينة العلم الشريفة واذا ما زرت منطقة عدن مثلاً فانك لاتصادف فى المدارس من أبناء الاغنياء والامراء إلا الهدد القليل كأن هؤلاء الاغنياء والامراء يظنون أن ما جمعهو للآبناء من حطام ينوب عن العلم لارشادهم فى ظلمات الحياة . ناسين أنهم لا يابثون بعد أن يفارقوا هذه الدار حتى تضاهل هذه الثروات وتصبح كأنها لم تكن

طالب العلم أجدر الناس بالحسنى إذا ما ابغى الصلاح الأنام

من يشجبه بالخطام يحقق فى غد قدر ما يكون الخطام

لم تقم أمة بسوقة جهل إنما الأمة الرجال العظام

ولطالما بددت الثروات على موائد القمار وفى أحضان ربات الحبال وبين مشارب الخمر وأغنياء الشرق والعرب يحسبون أنهم بهذا الاهمال المشين يحسنون صنعة وما علموا أنهم يسيئون الى الانسانية أيما إساءة بجرمانها من أعضاء هاملين فى المجتمع الانسانى ؛ لأن أبناء النعمة يعتبرون عادة من الاذكياء لو عودوا الاعتماد على أنفسهم ،

الأمهات فى أوروبا مهذبات يعرفن أصول التربية والتهديب واعداد البنات ليكونوا رجالاً للمستقبل بغرس الخيالات السامية فى أذهانهم منذ الصغر .

واجعل خيالك سامياً فلطالما سمت الحقيقة بامتطاء خيال

ولولا ما يعتور التمدن الاوروبى من عيوب الطمع الفاضح لسادت أوروبا البشر

إلى الأبد ، ولكن المادية تغابت على هذه الشعوب فنسوا الله فأفسدهم أنفسهم ،
الأممات في الشرق يجهان كل شيء ولذلك تتخاب عليهم عواطف الأمومة
فيطلقن السراح للابناء يخطون في دياجير الانحلال الأخلاقى وبذلك يجلبن على
ابنائهن جميع الويلات ، وسبب هذا كله ذلك الحنان المنافى للعقل والتجربة .
والسبب يفهم أن العاطفة مؤقتة وكل عمل نتيجة العاطفة يزول بزوال السبب
ولكن كل عمل يقوم به المرء بعد النطق والتحقل والاسترشاد بإرشادات العقل
المنير لا يزول أبداً كالأعتقادات والمبادئ القائمة على النظريات العلمية الصحيحة ،
والآباء عادة يعتمدون على الأممات في ملاحظة الأولاد ولا يسألون عما هو واقع
إلى أن يسقطوا في مهامه التصادم والمخالعة ويتعذر تلافى الخطر وأقله ذهاب العائلة
إلى بياء الزوال .

إن النوا كل جرّ على الشرق كل بلاء ، فإن رب العائلة في الشرق لا يؤمل أن
ينفك عن عائلته المستمعة عليه قيد شهر ، بينما الغربي يخترق القفسار ويجرب
الأقطار ويقطع الربع الخالى ويتبخر بين طبقات الأثير ويحاول السفر إلى القمر والمريخ
ليفوز ويؤود بالنفخ الوافر إلى وطنه ، وقد لا يعطى لأهله منه شيئاً بيد أنه
عرف عن الغربيين الكرم الخاتمى في سبيل المصالح العامة وهناك روكفلر يقدم
١٠٠ مليون جنيه للأعمال الخيرية بينما هو لم يعد ابنته عند زواجها سوى ١٠
آلاف جنيه وفضل الغربي المصالح العامة على المصالح الخاصة مبنى على أساس
مكن ونظرية فلسفية بحياة النور وذهابها فياسوف الإنسانية أرسلوطاليس القائل :
« أن أعظم الخسر هو العائد على البشرية بأجمعها لأعلى الأفراد » والخاسر النبوى
الشريف يؤيد هذه النظرية فقد قال سيد الكائنات صلوات الله عليه « الخلق
كلهم عيال الله فأحبههم إليه أنفعهم لعياله »

ولامراء في أن الاعتماد على النفس هو من أسس الدين الاسلامى الذى لا يجعل
الانسان مكافاً بواجباته الدينية قبل سن البلوغ أى بعد أن يكون فاهماً حق الفهم
ما هو بصده لاية لم أحداً فيما هو محاسب عليه الا بعد التحميم والتدبر ، لأن من
تعود مرة الاعتماد على الغير بدون تفكر وتدبر قضى سحابة الحياة في ظلام دامس
« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفاها » : والاجتهاد يحتاج الى العلم الكثير
ولهذا أبيع التقليد للعوام في الفروع فقط والغريون لا يقبلون على أمر الا بعد أن
يتأكدوا من صحته ومتى فهموه صار عقيدة راسخة لا يترحون عنها أبداً .

ومن المحال أن ترقى أمة مراقى الفلاح وتتوغل في مذاهب المدنية مالم يعتدأ بناؤها على التذرع بما يضمن لها العمران ، وإنما يستقيم ذلك بأن يعتمد كل على نفسه في مساعده ويعمل كأنه عهد إليه وحده أن يشيد معالم العز والظفر في وطنه . أو كأنما السعد لن يخلق على بلاده وقومه مالم يحكم مهنته ويمهر في صناعته . أما إذا وقع التواكل والتخاذل بين أفراد الأمة حتى لم يقيم بالنهضة إلا أفراد من ذوى الحزم والمضاء فإن البلاد لا يرجى لها تقدم ونجاح فليعتمد أبناء الشرق على أنفسهم وليعملوا بهمة الشباب وحنكة الشيوخ لاسعاد الأوطان وهناءها .

العمل

ان الافرنجى مضطر الى الكسب ليقوم بأود نفسه لأنه يعرف أنه قد يموت جوعاً قبل أن يحسن الله أحد من الناس . ولهذا نسمع اليوم ان البطالة عمت الاقطار الاروبية وان أحد الأمريكيين قتل نفسه واطفاله خوفاً الاملاق وان الجوع ضرب اطنابه في كثير من البلدان رغم تكديس الارزاق في بعضها كما هو حاصل في كندا وما ذاك إلا لان شعار الاوروبي « بعدى الطوفان » وما ظهور الشيوعية والباشفية بأجل مظاهرها في الممالك الغربية إلا لما يقاسيه الناس هناك من جراء اعتماد كل فرد على نفسه حتى أصبح الرأسماليون لا يبالون بما يصيب الفقراء والبؤساء من شظف العيش وويلات الحياة خلافاً لما جبل عليه الشرق من الرحمة والمبل إلى مساعدة البائسين حتى صار جل الشرقيين فقراء لهذا السبب وهو خلق كريم غير انه يساعد كثيراً جداً على البطالة ، وقد أدى بالعدد العظيم من الخلائق الى طرق الاستجداء وتكسف أيدي الناس وهكذا صارت البطالة في الشرق نتيجة لعدم الاعتماد على النفس وفي الغرب نتيجة للتطرف والغلو في الاعتماد على النفس

الانسان ميال بفطرته الى الراحة حتى قيل ان الباشفية ما انتجعت هذا المذهب الا لتخلص من ضرورة الجهاد في ميادين الاعمال والمزاجمة المشروعة للكسب الحلال مع انها ثارت على نظام الربا والنظام الفاسد وستبرهن الايام اذا كانت هذه المبادئ صالحة في نفسها مصلحة لغيرها أم لا « وأما ينفع الناس فيمكن في الارض » ولا تزال جميع هذه الحركات في عهد الطفولة والتجربة والاروبي مغرم

بعمل التجارب في جميع أموره ، ولذلك اكتسب اخلاقاً متينة . ولنشرع الآن في مراقبة هذا الشخص في ديوان أعماله

الافرنجى يعمل ويفتش عن مواطن النقص في جميع أعماله ويصلح الخلل في كل لحظة حتى يبلغ بأعماله درجة الكمال وعهدنا بالسيارة غير بعيد وفوق روسنا الطيارة وهذه الكهرباء وأمامنا البواخر البديعة السريعة والبوارج الهائلة ، وإليك مكتشفات الطب والكيمياء والهندسة والفنون الجميلة ، ثم فكر فيما وصل إليه الغربى من التفنن والتحسين في آلات التليفون واللاسلكى والرايو والتلفزون حتى أصبح يرى ويسمع من يخاطبه وإن بعدت المسافة وهذه علوم الزراعة والنسج وآلات الخياطة واللباغة والصباغة حتى أتتنا الصناعة بالمعجزات ، أنظر الى التاسكوب (المنظار) والميكروسكوب (أو المجهر) والساعة والبندقية والمدفع والتانك والآلة الكاتبة

قل لى بربك ألا تقف أمام هذه القوى حائراً مشتباً الفكر مهالاً مكبراً ممجداً الخالق العظيم الذى خلق هذا العقل للانسان وآتاه ملكاً كبيراً فعصف بأخيه واستبد بأبناء أبيه ، وقابل الحسنة بالسيئة ؟

لا يقولن قائل ان طقس أوروبا ومناخها قد ساعداها على بلوغ هذه الدرجة فى الرقى الانسانى لأن مصر وسوريا والهند وإيران أثبتت اليوم أن فى استطاعة كل منها أن تنافس أوروبا وتعمل بصورة جدية تثبت لها مكانتها بين أمم اليوم ، والبيب يفهم أن أوروبا لم تخلق شيئاً جديداً سوى السرعة الهائلة ، والحاجة دفعته إلى ذلك وفى المثل الحاجة أم الاختراع لأن عدد الاوروبيين زاد كثيراً جداً فصاروا بحاجة ماسة إلى كثير من ضروريات الحياة المحلوبة من الشرق وبحاجة أعظم إلى اضطرار الشرقيين لمشتري المنتوجات الأوروبية بتقييم الشرقيين عن العمل وبمجموعهم خاملين كسالى ، وهكذا أصبحت السرعة أعظم ثم أوروبا وأساس النجاح للصناعة الأوروبية . والغربون بحكم الضرورة والمنافسة لبوغي ذرى المجد حريصون على تحسين منتجاتهم وترويج بضائعهم ومنساعفة منتوجاتهم التى أعيدت - لهذه الأسباب - تعيد المستهلك دائماً مستعداً لمشتراها .

كان للعرب اليد الطولى فى صنع الزجاج والفخار والورق والحديد ، ولقد كان بعض ما صنعه المسلمون أعجوبة من عجائب الدهر وطرة يرخاء فى جبين الزمان ولا تزال السجادات العربية والنقوش الأندلسية مشار الاعجاب وزينة المتاحف

في لندرا وبرلين وباريس وروما ومجريط ونيويورك ، وقد بلغ صناع الحرير في هذا العمل شأواً بعيداً ولا يزال فن التطريز بالذهب و « التخريم » من أهم الصناعات في بعض مدن الهند كبنارس ودهلي وفي بعض مدن الصين واليابان ، وحدث ولا حرج عن الصياغة والنقش والرسم والكتابة الجميلة في كثير من الممالك الاسلامية إلى عهد غير بعيد . و « التاج محل » في « اكرا » شاهد على ما بلغ إليه الشرق من التقدم في الفن المعماري ولقد وقفت حائراً أمام التاج محل لأعرف كيف أصنفه ولا من أي النواحي أنظر إليه . ولكن الشرق أضاع تلك المزايا الفاخرة والاستعمار مسئول عن كل هذا التقهقر أمام الأجيال المقبلة لأن الجشع الاستعماري أباد العباقرة في الشرق حتى أصبحنا لانعرف كيف نعمر ديارنا بعد أن كنا نعمر مثل التاج محل والاهرام وقطب منار وقبة الصخرة الشريفة بالقدس الشريف .

أما أوروبا فحدث عن تقدمها الصناعي بملء فيك فان ساعة الرشيد التي أدهشت شارلمان أصبحت اليوم تدهش ملوك العرب وأمراء الاسلام بل أنها تطورت حتى أصبحت زرداً صغيراً ينبئك عن الوقت في مجاهل القارات والصحاري المترامية ولم يكتف السويسري النشيط بصنع الساعة اليومية بل عمل الساعة الاسبوعية والسبوعية كما اخترع الفريون الفونوغراف (الحاكي) والمواد الكيميائية للصبغة واللباغة والنموير والتداوي وأبرزوا السينما الصامتة والناطقة . ولقد تقدمت الطباعة تقدماً يدهش الأبصار واستخدمت الطباعة لتقديم المساعدة في هذا المضمار حتى أصبحت الصحافة لسان حال الشعوب وواسطة لنشر المعارف والوسيلة « لقطر الوقت » ورخصت أعنان الكتب وتمكن الناس من اقتنائها بسهولة وتقن المحررون في استنفاة أنظار القراء واجتهد كل واحد أن ينتكر الوسائل الفعالة لترويج جريدته وبضاعته وقويت المنافسة المنظمة وكثر المفكرون والعاملون النشيطون حتى أصبح أهالي استراليا يهجزون عن مشترى الفصح من مناجهم الواقعة حول بيوتهم بمثل الاسمار التي يعرض بها فحم كارديف في الشجيرات في نفس سيدني عاصمة استراليا وما ذاك إلا لرخص وسائل النقل والتعمدين في انكاثرا فتفكر في هذا النشاط المرفق وتدبره وقابله بالحوار في الجزيرة العربية حيث لا تجد جريدة عربية كمصحف اوربا ولا مجلة وافيه بالمراد ولا مصنع معتبر ، ولنفسكر الآن في الأسباب التي بواسطتها رقى هذا الخلق الغربي الى هذه الدرجة الرفيعة وكيف اناح له الزمان ان ينافس الامم حتى في حاصلات بلادها الطبيعية إذ أصبحنا

نراه يبيع الفحم للاسترايين والصباغ لليمن ، وكأنه والحال كذلك يكاد يصدر القمح الى البصرة والقطن الى مصر !

لا ريب أن مناخ أوروبا المعتدل عامل عظيم في باوغ الافرنجى هذا المركز السامى الذرى ولكن ثبات الغربى اوروبيا كان أو امريكيا وأنى سكن وحيث اقام واستمراره في عمله وجهاده في سبيل اسعاد نفسه وبلاده بغير توان ولا ملل ، لعامل وايم الحق عظيم في سبيل نجاحه لأنه لا يبال بالعقبات التى تعترضه مهما اخفق وفشل ، يحارب ويكرر التجربة حتى يصل الى ما يريد من الفوز أو يتوصل الى نتيجة اخرى تكون اكثر نفعاً أو لا تخلو من فائدة وها الانكليز يجوبون الفيافي والقفار ويقطع الحاج عبد الله فابى رملة وبار ، ينسعون الخارطات لكل منطقة مع التقادير الفنية لكل منطقة وبلدة متعاونين سياستهم ومبشروهم ، جندهم وتجارهم لغاية واحدة هى خدمة الاوطان

« من يخدم الاوطان يبقى ذكره وكذا تضاف لعمره اعمار »

وشعارهم « اذا عز أخوك فهن » فلا يستنكف الكبير عن الخضوع للصغير مادام أنه اكفاً منه وأقدر

قرأت منذ حين ان روسياً حاول الطيران في طيارة ذات بضعه محركات وكان يخفق في كل حين ولكنه لم ييأس بل استمر الى أن ساعده الجد والكند فبلغ مناه وخذل أعداءه ، وها السفار الغربيون يحاولون من بلد الى اخرى مستصحبين معيار الطقس والحرارة والضغط الهوائى وآلة الارتفاع وبعض الادوية يدنون جميع مشاهداتهم ليستفيد غيرهم ، وهكذا يدرسون اخلاق الامم ويفهمون اسرار الحياة فيسأل المسافر منهم والرحالة عن أسماء جميع المراكز والآبار والقرى والجبال والانهار والقبائل والحاصلات ويقبل على عمله بشوق ونشاط ويقوم بواجباته بفرح وجد لا ينفك مفكراً في طرق التحسين مبشراً وسائل الربح ولذلك قلما تجد التاجر باقياً على حالة واحدة اذا لم تكن تدر عايه البسان الخير ومعضلات المنافع ولطالما شاهدنا الغربيين يغيرون حرفهم دراراً وتكراراً حتى يصابوا الى الطريقة التى تدر عليهم الخيرات من ممينها الذى لا ينضب فترى تاجر الجلود والبن ينقلب مزارعاً أو بائعاً للحديد أو المواد الخام من أقطان أو حرير وهكذا .

ولا مشاحة في أن تنويج الاعمال والصنائع حرز حريز من الفقر كما جاء في الاثر عن سيد البشر وهى أيضاً تكسب العامل راساً ومرونة وسعة اطلاع مما يساعده

على الابتكار والاستنتاج خلافا لما نشاهده بين اخواننا العرب فان التجار نجار ،
والحداد حداد ، والعطار عطار الى الابد ، لا يعرفون غير هذه المهنة ولا
يعلمون الى تفهم او تعلم سواها ولو كسد سوقها وبارت تجارتها ، وانك لتجد
الجندي والتاجر والسياسي والسكران المنقب عن الآثام والاخبار من الأجنب
لا يحلون بلدا الا كان اول همهم تعلم لغة البلاد عربية كانت أو هندية صومالية أم
صينية خلافا لما شاهدته في كثير من العرب في بلاد الصومال فاني وجدتهم
لا يحسنون اللغة الصومالية رغم مرور الاحقاب عليهم هنا لك اللهم الا في النادر
والنادر لا حكم له كما يقال بينما السكول لورنس والى بلاد الصومال والمستريتيل
والميجر هورسلى والكتبين بارك يتكلمونها كأحد أبناءها وقد وضع الافرنج
الكتب العديدة لتعلم اللغات على اختلافها ولكن العرب لا يحاولون ذلك مع انه يحتم
عليهم لنشر الدين الاسلامي إتقان اللغات الأجنبية ونحن اليوم بحاجة ماسة لتعلم
علوم النفس والاخلاق والفنون الجميلة والهندسة والرياضيات والكيمياء والملاحة
والجندي والطيران والطب ولا سبيل اليها إلا بتعلم اللغات الأجنبية وهي الانكليزية
والألمانية والفرنسية والاطاليسية والروسية على وجه الخصوص وبقية اللغات الحية
على وجه العموم ولكن المسلمين اليوم في عراق هائل في هل يصح أن يترجموا القرآن
إلى اللغات الأجنبية أم لا ؟ وكيف لا يجب ذلك ، وإلا فكيف يفهم الأجنب القرآن
وكيف يعرفون فضل هذا الدين على سائر الأديان ؟ أليس أن القرآن كتاب الانسانية
وقانونها الذي إذا اتبعت البشرية نصوصه عاشت في سلام ؟ فاذا قلتم نعم فكيف يجوز
لكم أن تحفوا عن الناس أسرار هذا الكتاب الأقدس ، ترجموه أو قولوا ترجموا
معناه ولكن لا تتجادلوا فيما لا فائدة من ورائه .

من المجزوم به إذا أن المضي في العمل هو أس النجاح وأن النبات مع التحسين
المستمر وإصلاح الغلة يجلب الخير والفلاح في جميع الانتمال أما التأخر والتواني
وإضاعة الفرس والمثل والتفاؤل فايض لها سوى تبسطة واحدة هي الفشل .

هذا ماركوني ابتكر آله في سنة ١٨٩٥ وها هو لا يزال مستمرا في إدخال
التحسينات عليها وإصلاح عيوبها حتى وصل اللاسلكي الى ما وصل اليه اليوم ولقد
تحسنت آلة التليفون وتمكنت من حماها الطيارات واستغنى عن إقامة الأعمدة حتى
طمع ماركوني في مخاطبة سكان المريخ إن كان فيه من يحس الكلام ولكن السفينة
العربية لا تزال هي هي من عهد نوح عاياه السلام والطبيب العربي لا يزال يزاو الكي بالنار

والمراد بالطلاسم والتماثل ويعتقد أن الكيمياء هي تحويل الحديد ذهباً وقد نسي أن أجداده هم واضعو أصول الكيمياء والطبيعات والطلب والجبر ومخترعو التمام والتفاضل في الحساب ، وأول من استعمل البارود وقديمت أنهم أول الطائرين كما جاء في تاريخ الطبري ، لقد نسي المسلم أن التداوي بالحقن تحت الجلد أول ما ظهر في الاستانة المسلمة في القرن الثامن عشر وأن فلسفة ابن رشد هي التي هيأت كثيراً في فلاسفة الأفرنج لتلقي علوم الفاسفة والتبحر في أصولها ، وإن العلوم العربية باعتراف السير توماس آرنولد هي التي هدت كولومبوس لاكتشاف أميركا !

إن الأوربي يعرف قيمة العمل ويقدر الأعمال الجليلة وقليلاً جداً ما يميل إلى الخرافات والخزعبلات أو انتظار البخت والنصيب فهو يمجّد ويكبد غير تارك نفسه تحت سيطرة الحوادث أو متهماً بعجزه الاقدار فكأنه تخلق بأخلاق القرآن من حيث نحن لم نعمل بها ، ولذلك تمجد لأغريبين شركات تجارية وزراعية وصناعية وملاحية كما تمجد لهم نقابات العمال وشركات تعاونية ومصارف غنية وجمعيات خيرية إصلاحية ونواد رياضية وأندية ، ومن شأن كل هذه الأمور توحيد الغايات والمصالح والتفاهم والانضمام والاتحاد والدفاع والعمل للصالح العام ، لأن الصالح العام إذ ذاك يصير صالحاً خاصاً خلافاً للواقع في بلاد العرب ، فانك إذا جئت الرجل المثرى وطلبت منه مساعدة لمدرسة خيرية أجابك على الفور أنه لم يرسل أولاده إلى تلك المدرسة أو إلى غيرها فيبرهن بذلك على أنه لا يهتمه أمر اخوانه ، ولقد أجاد الأمير شكيب أرسلان كاتب الشرق الأكبر وأمير البيان في كتابه « لماذا تأخر المسلمون » إذ بحث في كثير من العيوب الاخلاقية التي تنخر في عظام الهيئة الاجتماعية المسلمة ودل على أمراضها

إن تنويع الأعمال هو نتيجة للاركان الطويل وقد أدى ذلك إلى توسيع نطاق التفكير وقوة الابتكار ، فنحن اذا أخذنا صناعة الكبريت نجد أن فريقاً من الناس يناط بهم تقطيع الاشجار وآخرين تشريحها وغيرهم تنجيفها وفريقاً رصفها في الصناديق بعد تنويمها بالمادة الكبريتية القابلة للاشتعال ، وأناس مهمتهم الصاق رقعة العنوان على العلب الصغيرة ، وهكذا قل عن صناعة الأبر ومثل هذه الأعمال تقيّد دائرة الفكر في محيط ضيق جداً وقد جن عدد كبير من العمال بعد أن قضوا عشرات السنين في عمل واحد مستمر ، وهكذا وظيفة معلم الصبيان فانها من الخطورة على عقله بمكان ان لم يفارق تلامذته بعد أوقات الدرس للاختلاط بالاملاء لأنّه قد يتساقط ويضعف عقله كثيراً الملامته الصبيان ، ولهذا قرر العلماء أنه يتحتم على المرأة احترام

الأعمال التي تستوجب أعمال الفكر ، ولهذا فإن المدارس الراقية تخرج تلامذتها وهم يحسنون في آن واحد بضعة علوم وفنون تكسب العقل مرونة خلافاً لنظمة التعليم في كثير من البلدان الشرقية حيث يتلقى التلامذة علماً واحداً فقط وبذلك يتقيد نطاق تفكيرهم وتسوء أحوالهم ؛ إذ لا يستطيعون العمل إلا في تلك الدائرة التي حضرتهم المدرسة لها حتى انك اليوم اذ ذكرت للفقير مخاطبة أهل المريخ قال أستغفر الله . واذا منطلقت بنظرية داروين استعاذ بالله من الكفر ، وهو ما يذكركم في قيام الكنيسة على كريستوف كولمبوس عند ما أعان عزمه على اكتشاف أمريكا إذ وجد القسوس ان ذلك مخالف لقواعد كتبهم الدينية ، واما لنرى بأمر أعيننا ونسمع بأذان رؤوسنا في الجزيرة العربية أقواماً يرون كفرة القول بدوران الأرض حول الشمس رغم جميع الشواهد التي لا تقبل النقض والابرار

وقع مرة في يدى خطاب من الهند وعليه طوابع بوسطة بآنتين ونصف (أ كثر قليلا من غرش صاغ مصرى) وكان ميزانه دون الأوقية فاستغربت ذلك الاسراف ولكننى عند مراجعة العنوان وجدت المرسل قد عنون الخطاب (الى عدن من أعمال مصر) مع انها من أعمال الهند وهو غلط جغرافى ولولا جهل المرسل بالجغرافية لوفر لنفسه نصف قيمة الطوابع وهذا مثال بسيط لما يمكننا أن نستفيد منه بواسطة العلوم مادياً وأدبياً

وفى أصول الاسلام الحكمة وجوب السعى لاكسب الحلال واتقان العمل والثبات ، عليه فقد جاء فى الحديث « أن الله يحب فى عبده إذا عمل عملاً أن يتقنه » وجاء أيضاً « استعينوا على كل صنعة بأهلها » وجاء أيضاً « أحب العمل الى الله ما دوام عليه صاحبه » وقال عليه الصلاة والسلام « اذا قامت القيامة على أحدكم وهو يفرس فسيلة فلا يدعها حتى يفرسها » والمراد من هذا الحديث الحث على الثبات .

الرياضة البدنية

قد يستغرب بعض القراء اذا قلت ان الرياضة البدنية اثر أعظم فى تقدم الغربيين ، ولكننا اذا سلمنا ان العقل السليم فى الجسم السليم لا تجد غرابة فى هذا القول فقد تعود الغربى منذ أيام طفولته ونعومة اطفاله ان يتريض صباح كل يوم ومساءه بالسير الحديث المسافات الطويلة وبتسلق الجبال والسباحة والتجديف والمصارعة العنيفة والملاكمة

والتنفس وركوب الخيل وغير ذلك مما يعود على الاجسام بالقوة والمناعة ويكسب الانسان صحة وعافية اذ يتمكن بقوة هيكله في مقاومة الامراض الفتاكة فيعيش الامد الطويل والامراض عنه بعيدة وجسمه متعود على التعب اثناء الرياضة الساعات الطويلة وهكذا فانه في اثناء العمل لا يشعر بفتور ولا كسل بل نراه مستمراً في انجاز اعماله بدون كلل ولا ملل ولا تذر لانه يكتسب من رياضته المنظمة قوة الارادة والتسلط على قواه البدنية فلا يؤثر عليه تراكم الاشغال ولا يعيل الى الراحة او الخلود الى البطالة

كنت ذات يوم ماراً بشككنات الجيش في مدينة عدن وكان معي أحد الرفاق فرأينا أفراد الجيش يقومون بالرياضة عنيفة ومناورات عسكرية في الشمس المحرقة فقال لي الصديق ان الدولة ترهق رجالها بهذه الحركة المتعبة بدون طائل ولا جدوى فأخذت اشرح له فوائد الرياضة ومنافعها وواجبات الاستعداد للطوارئ ولكن لم يجد ذلك معه فتيلاً حتى كان ما كان من الفتنة بين المساهين واليهود في عدن في شهر مايو سنة ١٩٣٢ فقد رأينا أولئك الخفراء وأفراد البوليس المساح يطاردون الشواربي الأزقة ثلاثة أيام بلياليها وفي أثناء تلك المشاغبات صادفت ذلك الصديق وألقيته معجبا بشدة الجند وجلدهم فقات له مذكراً « لئلا هذه الطوارئ يستعد الجنود بتلك الرياضة التي انتقدت عليها في ذلك اليوم ، ولولا ذلك لما كان في استطاعتهم العمل المتوالى كما ترى لأن الجسم يتوتر اذا لم يكن متعوداً على الرياضة البدنية العنيفة وقد يصاب المرء بالمرض الشديد الخطر على الحياة عقب العمل العنيف والحمل المعروفة Exhansion fever التي هي مسببة لخدر القوى من الشغل المستمر أعظم شاهد على ذلك الا اذا كان الانسان لا ينقطع عن العمل أمداً طويلاً

عرفت في عدن التساجر العبقري الخواجه بيس المشهور وعائيه من الاعمال والواجبات لالقيام بأعباء تجارته الكبيرة ما ينوء بحملها عشرات الرجال ، ولكنه لا ينقطع يوماً واحداً عن الرياضة بتسلق جبل شمسان أو بالتجديف أو بالسباحة أو بركوب الخيل ، ولهذا تراه كأنه لم يباغ الأربعين من عمره بينما هو اليوم في العقد السادس فتراه أبداً ودائماً متمتماً بأهلي حبل الصحة والعافية ، قوى الجسم والبنية والعضلات عصامياً عظيماً في أفكاره وأعماله ، وكذلك قل عن كثير من الافرنج المولعين برفس الكرة والتنس والهوكن وغيرها من الألعاب الرياضية

وإذا ما ألقيت نظرة على الشعوب الشرقية تجد اليمنيين والأحباش غالباً سولعين بمضغ القات يقضون الحياة في أكله ليلاً ونهاراً وفي الأوقات التي يجب فيها أن يستريحوا

بالنوم أو يستفيدوا بالمطالعة أو بالرياضة العضائية مع العلم أن القات يخل مضغه بالصحة
عموماً وينهك الأضراس ويودي بها قبل أوانها ، ولذلك يسمى حركة الهضم ويضعف
قوة الباه ويولد المرض المعروف « إسبرماتوريا » أى السيلان وبعد مفارقة مجالس
القات تجدهم فى غم ونكد يتصببون عرقاً وهم غالباً فى حالة تخدر لا يحلو همهم سوى
الاحلال الى القهوة لعب الورق والدامة والدمنة والطاولة والتدخين بالشيشة والمقامرة
وهم عادة يبدأون مضغ القات الساعة الواحدة بعد الزوال ويغادرون القهوة الساعة الثامنة
مساء لاتمام ما بقى من مضغ القات ويستمرّون الى ما بعد نصف الليل ، والقات مادة
محبلة للسهر لاحتوائها على التانين من السموم المعروفة ، ولهذا تضعف جميع القوى
العصبية عند آكل القات من حيث لا يشعر فيتعود الكسل ولا يشعر بالنشاط إلا
عند مضغ هذا النبات شأن جميع المخدرات وتجدر آخرين عبيداً لعادات أخرى سيئة
كشم الكوكايين والتامبول وشرب الشاي القوى بينما تشاهد الأفرنجى لا يأتى عليه
وقت العصر الا وقد استعد لرياضة العنيفة التى أقلها السير مسافة بضعة أميال يعود
بعدها الى الدار فيأكل طعامه بشوق عظيم وشهية ونهم عارفاً أن كل ذلك سينضم
فى بضعة ساعات قبيل النوم خلافاً للشرقى الذى تعودت معدته الكسل فاذا ما أكل
بضع أوقيات أصيب بكابوس يقض عليه المضجع فينسب كل ذلك الى الشياطين
والعفاريت ، وهكذا يصير عرضة للأوهام والآلام
وإذا عجز المرء عن الرياضة كل يوم فعليه أن يقوم بها مرة فى الاسبوع على
الأقل على شرط أن تكون عنيفة طويلة تستغرق أكثر اليوم على رءوس الجبال
وشاطئ البحر وفى الحقول والنياض وهى أرخص من الهواء لانها لا تكلف المرء
دائماً واحداً بينما هى تبعد الطبيب عن الدار أعواماً

المنكر

لكل انسان فى هذا الوجود غاية فريد من الناس يريد أن يكون سعيداً وأن
يتنعم بلذائد الحياة وأن يقتنى قسماً وافراً من المال والخلول ، وعمره يريد أن يكون
سياسياً هائلاً ، ونخاد يرى الى قيادة الجيوش فى ميادين النصر بينما أحمد يرى أن الحياة
هى ارتشاف لبان الدوم والعيش فى نقشف وبعد عن ضوضاء الحياة ، ولذلك وجب
علينا أن نبحت بحثاً دقيقاً لنفهم مرأى الإنسان الرئيسية فى هذا الوجود وليكن بحثنا

منطقياً يتفق والسلوك الانساني مدعماً بعلم النفس وفلسفة الحياة . وأحسن ما كتب في هذا الموضوع هو المحفوظ عن الدكتور جنج والعلامة أدلر والحكيم ماكدوجال وغيرهم من فلاسفة الغربيين الذين لأفكارهم العالية وابحاثهم المفيدة مكائنها في مجالس العلم والاعلاء، وخلاصة بحوثهم أن الانسان يرمى في هذه الحياة الى مشاركة زوجة صالحة وأولاد والى نيل سلطة عظيمة في المجتمع البشرى للتمكن من مقاومة مخبئات القدر وتنازع البقاء اذا ما سلمنا أنه لا بقاء الا للأصالح « وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » (قرآن كريم)

لم يقرر العلم حتى الساعة ما اذا كان الانسان مجبوراً أو مخيراً في انتهاج السبل التي يرتادها في حياته بيد أنه قد ثبت أنه يتكيف بحسب المؤثرات ، وأن لنظرية أرسطو طالس « السرور والألم » مبالغاً عظيماً في الصحة ، لأن المرء يجتنب كل ما يعود عليه بالشمر والضرر ويعيل إلى كل ما يجعله في فرح وخير ولذلك تقرر أن السارق إذا سرق فانه يعرف أن ذلك سيجلب عليه ضرراً محققاً كقطع يده مثلاً ولكنه يقدم على اقتراف الجريمة بدافع التخلص من ألم أعظم وهو « الجوع » أو الخوف من ضياع الشرف إذا اكتشفت جريمة أخرى اقترفها كالاختلاس من مال مولاه أو اعتماداً على عدم انكشاف سر ذنبه أو (إذا ما قد سرق مرة واحدة) بدافع العادة المستحكمة في نفسه والتي لا يقدر على مقاومتها ويتفاوت الناس في فهم الخير فقد يعد العميني خيراً ما يراه الهندي شراً ويرى البوذي المتكشف راحة في القعود على السنة الحراب وقذف جسمه في النار الملتهبه بينما يرى الجمهور أن ذاك هو عين الشقاء ومجد عمرو في الجوع لذة ولكن علياً يجد السعادة والهناء في النهم مع أن في النهم سوء الهضم والألم ،

وهكذا قد تنوق نفس كنفوس عبد الرحمن الناصر إلى توطيد ملك راسخ البنيان ، وتشوق روح كروح نابليون الى امتلاك ناصية العالم ، ويود رجل كغاندى أن ينال الاستقلال لوطنه ، ولكن هل يجدون في ذراتهم وفي أنفسهم العزم لتنفيذ تلكم الرغائب ؟ وهو ما سأبحث فيه الآن بحثاً كاملاً غير أنى أقدم البحث توطئة وهي أن الانسان مخير في بعض أعماله ومجبور في بعضها بقوى طبيعية ووراثية ، فهيا بنا أيها القارئ الكريم لنسرح معاً في عالم الخيال ونحاق في سماء التاريخ لنكتشف بعض ما عمله العزم من العجائب .

قبل بزوغ فجر الاسلام كان العرب في حالة هي إلى الفوضى أقرب منها إلى النظام ولا يخفى على المطلع اللبيب أن قبائل العرب كانت متنافرة متباعدة متقاتلة ، وكان

الفرس والروم يقتطعون من الجزيرة العربية أطرافها كما تفعل أوروبا اليوم بالحبشة ، أما أخلاق العرب فقد كانت على وجه الاجمال ضعيفة لاذ كانوا يئدون البنات لخور نفوسهم وجهلهم ، ويشربون الخمر باستهتار ويستسلمون للشهوات ويلعبون القمار وينهبون الناس ويقطعون الطرق ويعبدون الأوثان رغم كرمهم وإقراءهم الضيف وذبحهم عن الوطن ودفاعهم عن الاعراض ولإبائهم الضيم ، وقد جاء في الاثر أن سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم وجد عمر بن الخطاب مرة يضحك ثم صمت فبكى فدخل عليه النبي وسأله عن حاله فقال عمر له مصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إنه كان له رباً من حاوى إذا جاع أكله وطبخ غيره وعبدته فلما تذكره ضحك لذلك الهوس ثم تذكر أنه وأد بنتاً له وأنه لما كان يوارىها التراب كانت البنت تنفثه عن لحية فأبكته تلك الذكرى التى تبكى السامع اليوم ، وإن يكن قد مر عاينها ما يقرب من ١٤ قرناً . فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألم يكن لكم عقول يا عمر ؟ فقال بلى يا رسول الله ولكن أضاعها باريها .

ولعمر الحق أن المرء ليأخذ العجب وهو يرى أن هذه الأمة المتأخرة الجاهلة قد بنت مجداً خربت له الجبايرة ، وأن المرء إذا ما أوغل في التفكير وجد نفسه معجباً بالسبب الذى هبأ لهذه الأمة هذا الفخر وقادها إلى ميدان النصر مع أنها لم تكن ذات بلاد غنية . لأنها سكنت وادياً غير ذى زرع كما قص الله علينا فى كتابه الكريم ولم تكن له قوة تجارية أو زراعية ولا مناجم ولا أساطيل ولا عدد كافية بينما كان أعداؤهم أهل غنى وافر وملك عظيم ، فيا للعجب ! ليس بالقوة تسلط هذا الشعب ولا بالغنى ولا بالعلم ، إذا فلم يبق لنا الا أن نقول إنه إنما ملك ذلك الملك المتراعى الاطراف وخفقت أعلامه على ربوع المسكونة بقوة الأخلاق وشدة الايمان .

ولكن من أين اكتسبوا الاخلاق والعزائم وتحاوا بالفضائل والكمالات والعرب (كما رأيت) كانوا فى دياجير الجهل يهيمون وفى مجبوحة الفساد يتخبطون إن العرب لما تحاوا بأخلاق من علمه القرآن سيد الكائنات ونور الأرض والسموات صلى الله عليه وآله وسلم أنجبوا مثل عمر بن الخطاب الذى وأد ابنته وشج رأس أخته وعبد رباً من حاوى ثم أصبح ذلك الأسد المصور والشهم النذب الغيور على دين الاسلام . بل امبراطوره الكبير ورجله الفذ الشهير لذلك يحدربنا أن نفهم سر انقلابه من الهمجيح إلى التمدن الصحيح .

قلت ان العرب كانوا أطوع الناس لشهواتهم وكانوا عبيداً لفرجهم وبطونهم

ولكنهم في عشية أوضاعها داسوا على الشهوات ونبذوا الخرقا طعوا التزوج بعشرات النساء واجتنبوا الزنا وتحلوا بالصدق والشجاعة والاخلاص والتضحية وتركوا الاحقاد وعمر قلوبهم الأيمان فكسروا الأوثان وأزالوا الصلبان وأخذوا النيران وبرزوا بالاعلام ، رؤسهم مرفوعة وراياتهم خفاقة وخيامهم مضروبة فاذا هم غير من عرف الناس ليوثا عوايس وابطالا مخاوير ، يرون الجنة تحت ظلال السيوف ولطالما أثنى أحدهم في ثمانين موضعاً من جسمه وهو يقاتل حتى يقتل شريفاً معظماً مأجوراً كأنس بن النضر الذي لم يدرك مع النبي بدرًا فكان منه في أحدهما كان ، فالعرب اذا عزموا على دوس الشهوات داسوا الكرة الأرضية وأهلها وعليه يكون العزم رأس الاخلاق الفاضلة وأساس الكمالات العظيمة وسر أسرار التقدم البشري وهو أظهر ما يكون في التغلب على النفس وشهواتها كما جاء في الاثر واذا ما أراد الانسان أن يتغلب على نفسه ويصير كاملاً فاضلاً قوى الارادة فما عليه الا أن يتغلب على بعض عاداته أولاً كشرب الدخان والقات والخمر والكوكايين والحشيش ويتحود مع العزم قول الصدق وكبح جماح النفس وقد تركت انا عادة شرب الدخان ومضغ القات وأكل التامبول وشرب الشاي فوجدت في أخلاقي تبديلاً وتحسناً ومتانة

ان الامة العربية الكريمة لما اقتدت بسيدها وحميها محمد صلى الله عليه وآله وسلم سادت وشادت وارتفع شأنها وعلا كعبها . أما الاستسلام لموى النفس الامارة بالسوء فانه ضاية الدناءة والخسة التي تجعل الانسان حقيراً لا يتسامى أبداً بل يبق مضغوطاً عليه متساعطاً عابه الوهن مائلاً الى الخرافات لا ينجح في عمل من الأعمال والخوف ملاً جوفه وهو دائم الدهر في حالة تشنجية طالما أودت به الى الفشل والى الخفض والموت الأدبي شأن السقوط في جميع أطواره لأن كل أمة استسلمت للمهيمنة والشهوات النفسية لا تلبث أن تسقط في مهاوى الدمار

لقد استسلمت الأمم الاسلامية اليوم للشهوات ، ولذلك خارت عزائمها وأصابها البوار واليأس البيان :-

لقد تفشى شرب الخمر بين كثير من الشعوب الاسلامية التي يحرم عليها دينها شربه فهي بمخالفتها قد قذفت بتعاليم الدين الحنيف عرض الحائط وآتت الانفس منها وأقبلت على دنياها فجعات الهها هواها فوهنت قواها وهوت رجالها وأصبحت أشبه بالرجل الممنوم الذي يعمل كل شيء بارادة غيره لابرادته بل تحت قوة التأثير المغناطيسى الناجم عن عدم ضبط النفس بالعزم الفعال ، حتى صارت طوع ارادة

الشهوات وسبب ذلك أن في الدماغ حواجز قوية تسمى lines of resistance فإذا ما أقبل الانسان على اقتراح الجرائم ضعفت هذه الحواجز التي هي الارادة فيصبح الانسان بلا ارادة ويكون عندئذ طوع ارادة الشيطان .

ليس شرب الخمر فحسب ولكن المقامرة والزنا واللباط والنسق بكل صنوفه قد أصبحت جميعها عادات راسخة بين كثير من الشرقيين وما يليق بهم وببلادهم مهبط الوحى ومنبع العرفان والتمدن وقد كانوا المثل الأعلى للعفة والتقوى والورع والصلاح والايمان وأمامنا الهندوس الذين يضربون لنا المثل العظيم فى الصرامة فى معاملة النفس الى حشد الامتناع عن الأكل والشرب واللباس وترك الشهوات واللذائذ جميعها ، وكذا قل عن بعض السادة الصوفية الذين يأبون الاستسلام لهُوى النفس ؛ وقد دخلت على الشرقيين عادات قبيحة كثيرة كالخمرات فى مصر والشاى فى الحجاز والقات فى اليمن والحبشة وبلاد الصومال ، والتامبول فى الهند وشرق أفريقيا والافيون فى الصين والتدخين ، والخمر فى جميع الممالك الشرقية ، وقد أولع الناس بقتل الوقت بلعب الورق والدومنة والطاوله الساعات الطويله بل الايام المتواليه وهم بقتل الوقت انما يقتلون أنفسهم أدبياً وهذا هو الانتحار الأدبى وهو فى مذهبي حرام كقتل النفس البريئة ، اذ كيف يجوز لمن كانت بلاده مستعبده وحقوقه مستباحة ان يسترسل فى شهواته طول العمر ويقضى ثمين الوقت فى سفاسف الأمور والموبقات حتى أصبح أكثر شبان الشرق مدمنين على أخس العادات ، أصابهم الخمول ودب اليهم الكسل فصاروا من طلاب الرفاهية والراحة يقتربون الكبائر للحصول على راحة الجسم واشباع نهم النفس وقد مات وجد انهم وضاعت أوطانهم وأعداؤهم يقولون :

انا نرى الدنيا انقاذ أوطان

أما أن للشرق أن ينتبه ؟

والآن هيا بنا إلى ربوع أوروبا لنرى كيف كون الهولنديون بلاداً من اجل بلاد الله عمارة وزراعة وصناعة وقد أوجدوها من مستنقعات ليس الا وكيف هم اليوم يردمون المنخفض لينهبوا من البحر الغاضب المتلاطم بالأمواج قطعة واسعة من الماء فيجعلوا منها أرضاً مزدهرة بالأزهار اليانعة والأشجار النافعة والمساكن الآهله والمصانع المنتجة ، هلم بنا إلى انكلترا لنراها وقد اشتبكت أرضها بشبكة من قضبان السكك الحديدية وخيمت على سماءها طبقة كثيفة من سحج دخان المعامل النشيطة وأنظر كيف حفرت قناة السويس وقناة باناما وكيف نقرت جبال الالب لعمل نفق

من إيطاليا إلى فرنسا ، وتفكر في الفطار الممدود من فلاديفوستك على شاطئ
الباسفيك إلى لنجراد على شواطئ بحر البلطيك حيث يتصل بسكة حديد المافيا
ففرانسا فغيرها . . . الطائرة تحترق الأثير والقطار يتساق الجبال والمدن الهائلة
تمخر في عرض البحار وقد نبشت آثار الملوك الذين ظنوا أن لن يصل إليهم بشر
ولن يعث بقداسة قبورهم عابث ، بربك فكر في الراديو ، في التلفزيون ، في عجائب
الطب ، في غرائب الميكانيكا ، وفي كثرة الاختراعات التي تجل عن الحصر وقل لي ألا
يدهشك ذلك وإذا سألت عن سر هذه القوة فاعلم أنها العزم .
ولله در الشاعر إذ يقول :

ما شاب عزمي ولا حزمي ولا خلقى ولا وفائي ولا ديني ولا كرمي
وكل من اجتمعت فيه هذه الخلال فهو جدير بالأكبار والاجلال

الاستعداد

(أوعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)
(قرآن كريم)

إن في هذه الآية العظيمة حكمة بالغة ومعنى كبيراً وقد عمل بها المسلمون في أيام
عزم فكان من أمرهم ما كان وأغفلوها اليوم فوقعوا في أشد العذاب ، عمل بها
المصطفى يوم بدر وعمل بها سعد بن أبي وقاص يوم القادسية وعمل بها خالد بن الوليد
يوم اليرموك ولما أعجبهم كثرتهم يوم حنين فشاولا فكانت لهم أمثلة قاسية بعد
ذاك اليوم . وهذا عمرو بن العاص يخرج في سرية يرأسها ، فيها أبو بكر وعمر فيفسكر
ولكنه كان يجنب متابعة العدو لئلا يقع في كمين ويمتنع عن إيقاد النار لئلا يلاحظ
العدو قلة عددهم وهو ما يسميه الغربيون « المسؤولية » والعلم بها بخلاف أكثر
الشرقيين اليوم الذين تراهم وقد وضعوا كأس الشاي فوق دفاتر الحساب وكدسوا
الأوراق بالترتيب وخلصوا الحابل بالنابل ولم يفكروا في حاضر ولا قابل وقد
نسوا أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقف حجر عثرة في سبيل فصل مصر
عن الجزيرة العربية بالماء (بالقناة المشؤمة) حفظ الشرق في حرز حريز إلى يوم
رمت مصر بهذه السياسة عرض الحائط ولم تسمع نصيحة عرابي باشا الذي نظر
بعين عمر العظيم فرأيت ما أصاب مصر والشرق من ويلات ولولا حزم محمد صلي
(٢ - ٥ - بماذا)

الله عايه وآله وسلم وأصحابه الكرام في تدوين القرآن لأصابه ما أصاب الانجيل من الضياع

من استعد لحوادث الدهر بات آمناً مطمئناً قريح العين هادىء الجأش ناعم البال واليك الامبراطورية البريطانية فان عدم الاستعداد والتهور اضاع من يد الانكليز الولايات المتحدة فكان هذا الحادث لديهم كيوم حنين عند المسلمين . ولذلك احتلوا جزائر فالسكلاند وسانت هيلانة للدفاع عن افريقيا الجنوبية ثم اتخذوا مضيق سنغافورة وهونج كونج وجزر بورنيو وغينيا الجديدة للمحافظة على استراليا وزياندة الجديدة ، وقبضوا على جبل طارق ومالطة وقبرص ومصر وفلسطين والعراق وجنوبي اليمن مع عدن وميرون وسقطرة والساحل الغربى والبحرين للمحافظة على الدرة العظيمة في تاج ملك الانكليز « الهند » واخذوا نيوفوندلاند وكندا وجعلوها الثالوث الامبراطورى الذى قلبه « الجزر البريطانية » . وبذلك امنوا على امبراطوريتهم من ساطيات الدهر وعاديات الزمان وبعد أن امنوا سبلها منعوا عنها غارات الاعداء وامنوا الثورات والعصيان في داخليتهم ، وكل ذلك نتيجة امر واحد هو الاستعداد

ولا يجهل أحد استعداد المانيا الهائل إبان الحرب العظمى حتى تمكنت من مقاومة جميع دول الأرض تقريباً. متألبين عليها ، سنوات ولا تزال ولا زالت تلك الحرب المشؤومة ونتائجها السيئة ماثلة امام اعيننا إلى اليوم ولولا ان المانيا اعدت العدة لتلك الحرب الجهنمية منذ سنة ١٨٧٠ لما كانت تمكنت من عمل تلك المعجائب في مقاومة العالم بأسره ولو انها لم تستعجل في اعلان الحرب سنة ١٩١٤ م وصبرت الى أن يحين الحين لكانت ضربت اعداءها الضربة القاضية . وهذا هندنبورغ آله الحرب عند الالمان مكنه استعداد الهائل ودرسه لروسيا وحالتها وطرقها وسبلها ومستنقعاتها من القضاء المبرم عليها في الحرب الكبرى حتى آل أمرها بعد الثورة الى ما آل اليه . وما الاستعداد إلا التفكير في العواقب والنتائج والاخذ بالأحوط لما قد يأتي به الزمان في مستقبل الايام من حوادث لم تكن في الحسبان فالباخر الاوروبية تستعد للحريق بوسائل الاطفاء والحوادث الغرق بوسائل النجاة من كاو تشوك يطفو على الماء وقوارب متينة تقاوم الانواء وغير ذلك . ولكنك لا تجد شيئاً من هذه المعدات في السفن العربية إلا نادرا واذا ما زرت المدن الراقية المصطبغة بالصبغة الاوروبية دع عنك الغربة نفسها فانك تشاهد فيها المحاجر الصحية ووسائل منع العدوى لمقاومة الأوبئة كالجدري والطاعون والكوليرا والملاريا وتجد الاطباء الاختصاصيين وهكذا قات الامراض المعدية

في الغرب وتكثر السكان بينما هذه الامراض الفتاكة لا تزال تبديد عشرات الألوف في الممالك الشرقية وقد اخبرني والدي حفظه الله انه شاهد مقبرة واسعة في تعز تعرف بمقبرة الاطفال حيث دفنت جثث الوفا الاطفال في بضعة اسابيع وذلك اثناء مرض وافد من الامراض المعدية رغم ان تعلم العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وطلب العلوم العصرية جميعها بما فيها نظرية داروين وفلسفة أنشتاين : يعد من فروض الكفايات على الامم الاسلامية في صواب دينها القويم الذي يتمشى مع الزمان ويجارى روح العصر في كل أوان أنعم به من دين واكرم به من رشاد رضي الله جل وعلا لعباده على لسان اكرم خلقه « ومن يتبع غير الاسلام ديناً فان يقبل منه » ولكن اين هم المسلمون الذين يعملون بأوامر هذا الدين الذي سن لنا تعلم جميع العلوم العصرية من قبيل الاستعداد للطوارئ ءفصار على كل مسلم من اقدس الواجبات وفيها تعلم الرسم ورسم الخرائط على وجه الخصوص وعلم الحصون والقلاع واتقان الهندسة المعمارية والميكانيكية والطب والبيطرة والكيمياء والطبيعيات وعلم طبقات الارض والصنائع العديدة والفنون وعلم الآثار وعلم الأحجار والفلك الدوار والملاحة البحرية والجوية لانها تجعل الانسان مستعداً اذا ما أزمع عدو على مهاجمة وخصوصاً الشرق الساكن في البلدان الغنية بالكنوز والنفائ والمعادن والمناجم التي التفت اليها الغربى بهمة قصواء فاستثمرها إذ وجد الشرق غافلاً عنها غير مستعد للدفاع عنها ، وكذا قل عن الاستعداد التام لمرض قبل استئصاله لأن خير من التداوى بعد أن يستعصى ويعصب مقاومته كأعداد الشعب للمستقبل بتعظيم النشء وثقافته وتغذيته بآبائ الوطنى التى تحضر جيشاً يزود عن الكيان اذا ما ظهر العدو شاهراً سلاحه في الميدان ولو استعدت الصين يوم قام « صان يان صن » ينهبها من غفلة لما كانت اليوم اليابان ابتاعت منشوريا ، ولا ينفع الندم بعد فوات القرض

وليعلم القارىء الكريم ان اعداد الابناء بالتربية الصالحة والتهديب يعود على العائلة بالخير الكامل فى المستقبل وما سبب شقاء جميع العائلات البائسة فى الشرق ، وما سبب ضياع الأوطان والدل والهوان الا عدم الاهتمام بثقافة النشء وإصلاحه منذ الصغر لأن العلم اكبر عدة لمقاومة تيارات الزمن وكوارث الايام وأما المال بغير علم فانه يذهب هباء منشوراً وتأكله نيران الجهل فيضمحل هو وأهله ، ولذلك تجد المدارس فى أوروبا لها المقام الاول عند الشعوب المتقدمة تخصص لها الصحف قسماً كبيراً من الاعمدة الرئيسية منتقدة للبرنامج مطالبة بالتحسين والاصلاح عارفة أنه فى المدارس يستعد الشعب لمنافسة الأمم فى ميادين الأعمال لتتازع المكانة وتبوء المقعد فى ذرى

المجد ولذلك نرى الاستعداد على أتمه للاختبار في الجامعات وللفوز في التحصيل على الشهادات العلمية العالية من السكليات المعتمدة والاكاديميات أو المجمع المشهورة ولقد أصبح الاستعداد في أكثر المدن الحديثة على أتمه للمباريات الرياضية حتى صارت أجسام الرياضيين كالحديد أو أشد قوة ، والغريبيون مولعون بالاستعداد لازعامة وقيادة الجيوش والمزاومة التجارية بدرس علم الاقتصاد حتى لقد تنبأ الخواجه بيس عن الازمة الاقتصادية الحاضرة قبل وقوعها بسنوات كأنه كان يراها بعينه ولذلك صرف جميع مخزونات من البضائع بخسارة بضعة ألوف وفرت عليه خسارة الملايين لو لم يفعل ذلك فعمله إذن كان نتيجة التفكير في العواقب بعين البصيرة المبينة على العلم والتجارب لو القيت نظرة على مدينة عدن وما يجاورها من البلدان لألقيت الجهل ضاربا خيامه في طول البلاد وعرضها والناس في سكرة الغفلة غير آبهين لما يحيط بهم من أخطار ، فالأطفال في الأزقة كالجراد المنتشر لا يؤمنون مدرسة سوى التزليل سيرتهم (٣٠٠٠ طفل يذهبون إلى المدارس من ٩٠٠٠ طفل في عدن) والشبان يسرحون ويرحون غالباً بالأغاية في هذه الحياة والبؤس مخيم على رؤوسهم أما جهل النساء فحدث عنه ولا حرج وكل ذلك جهل مشين يضر بالناس ويدهورهم حتى انى استغرب كيف لا يفهم الناس انهم بتركهم أولادهم في دياجير الجهل وظلمة الانحطاط الأخلاق كأنهم يحققون بأيديهم جميع ماتعوا وكدوا وجدوا في جمعه من أموال طائلة لأبنائهم ولذلك لا يكاد المورث يوارى في التراب حتى ترى الولد أصبح سادراً في غلوائه منتجعاً بؤر الفساد مبدداً جميع تلك التروات التي كد والده وكدح لجمعها فيالله من جهل الآباء

إذا كان رب البيت بالطبل ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

واين اغنياء عدن من المستر فورد اغنى رجال الدنيا قاطبة الذين أعد ولده بالعلم لحياة سعيدة سترك أثراً على صحف التارخ يخلد ذكر العائلة إلى ماشاء الله ، والله در البوصيرى حيث يمدح سيد الكائنات قائلاً

كفالك بالعلم في الأمى معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتيم
ولكن أغنياء العرب لا يتعظون بما يرون بأعينهم في كل لحظة من تبديد التركات
على موائد القمار وفي بارات الخمر واحضان الغواني حتى انقرضت أكثر العائلات
أو كادت

رب ان الهدى هداك وآيا تلك تهدى بها من تشاء

ان واجب الشرقيين اليوم هو أن يحذوا حذو الغربيين في الاستعداد للطوارئ ولا يوجد طريقة اجدى وأجسد من تعلم الناشئة والبنات بنشر الثقافة الاسلامية والشرقية عموماً وبث العلم وتشجيعه والبذل بسخاء لعمارة المدارس والمعاهد العلمية وارسال البعثات من نجباء الشبان الى أوروبا للتخرج في كلياتها لاعلاء كلمة الشرق والاطوان .

إنما الشرق بالجهالة عبد فرفعوه بالعلم حتى يسود
اما الاستخذاء والمجود والخول والجبن فستقودنا حتى الى البقاء في ذل الاسر
ماتعاقب النيران فانخلاص منوط بتعلم العالم بلا جدال
لم تقم امة بسوقة جهل انما الأمة الرجال العظام
وها أنا اسوق للقارئ الكريم حادثة تاريخية تصور اهمال العرب في الاندلس
واستعداد الافرنج اثناء ذلك ونتيجة ذلك الاهمال المشين والاستعداد الجهنمي حتى
ضاع ذلك الملك من ايدي العرب .

ذكرت بعض المعاجم ان براق بن عمار القائد الاندلسي عدو الله ذهب الى روما
وقابل رئيس القاتيكان وكان معهما دوق فينيزيا ، فقال لبراق : ان البابا قد استدعى
جميع المفكرين في اوربا ليشاورهم في الطرق الناجعة لاسترجاع الاندلس من ايدي
العرب فقال براق خائن قومه ووطنه : ان الاسد لا يصاد في عرينه الا بالمكر والخديعة
وقد يستعين الصيادون بالحمر لاقبض على ليث العرب ولا ينمل الحديد إلا الحديد ثم
ذكر اخلاق العرب وكرمهم وشدة تمسكهم بالدين وقال لبابا : ان العرب يخدعون
بسهولة وتستهوهم الظواهر الخداعة فاجعوا بينكم وبينهم معاهدة على : (١) حرية
الدين (٢) حرية التعليم (٣) حرية التجارة .

فان لم يتبعوا دينكم فهم على الأقل
يهمون دينهم فيفقدون حمية الاسلام التي تحجب اليهم الجهاد والدود عن الاوطان
والاعراض ، واما حرية التعاليم فانها ستولد لهم غامانا شؤما عليهم يكرهون الاوطان
والآباء والأجداد وياتصقون بعلومهم ، واما حرية التجارة فانها ستبعضعهم يهجرون
ازياعهم الاسلامية وقيامتهم العربية وثقافتهم الشرقية . فضلا عن تجارة الخمر التي شاعت
بينهم اقدموا على المنكرات وفقدوا النخوة والشرف وحنفت عة ولهم واجسامهم ،
ودى ارتبكت احوالهم فانهم يكونون لكم نقمة سائلة تستبيحون دماءهم واموالهم ،
ولا تنس ان البذخ والاسراف في الشهوات وإهمال سيرة الآباء والأجداد هي من اقوى

أسباب المخطاط الممالك القوية وتفكك عرى الروابط القومية وقد قبل ملوك العرب في الاندلس تلك المعاهدة رغم نصيح الناصحين فباءوا بالخسران ، لأن القسيسين انتشروا انتشار النار في الهشيم واخذوا يبتزون سمومهم حتى انهم شيدوا ضيعة جميلة على ضفة نهر قرطبة وسط البساتين الغناء والحدائق الزاهرة

فكانت منتزهاً جميلاً للعظماء والامراء والشبان أيام الاحاد ، حيث ترى ضروب الخلاعة ، وأقام دوق فينيزيا على حسابه الخاص أربع مدارس تبشيرية فأقبل العرب عليها اقبال الأرض على أوائل القطر وامتزجوا بالرهبان امتزاج الماء بالراح وأخذوا عنهم لغاتهم وعوائدهم وأخلاقهم ، خصوصاً لأن أحد النواب المعروف بابن ذى النون أطلق لدعاة النصرانية الحرية يعيشون في الأرض فأخذ الناس يشربون الخمر ويهجرون المساجد حتى أن أحدهم اشترى عنباً من قرطبة ولم يبق شيئاً من حاصل السنة بكاملها (وكان أحد الرهبان المترين) وعصره جميعه خمرأً وأقسم أن لا يسقيه الا للمشركين من أبناء العرب في مدارس المبشرين فخرج شبان قحطان واحفاد عدنان وشربوها جهاراً في ضواحي قرطبة وخلعوا رداء الحياء والحشمة وحرقوا عوائد الآباء ولبسوا الحرير ونبدوا الصوف والشعر وأخذوا يذهبون الى العاهرات في حانات النزلاء الدخلاء ويتهاككون في عشقهن حتى أن المعتصم بن صمادح عشق فتاة رومية واغتصبها من أبيها فاستجار أبوها بجندل بن حمود فخرت بينهما حرب شعواء أبادت الزرع وأهلكت الضرع واستنجد بدوق فينيزيا على أخيه العربي ابن صمادح فقهروه واحتل الأعداء بلاد المعتصم بن صمادح وأقيمت لهم الولائم على مرأى من بقية ملوك الاندلس المسلمين وهم ينظرون فلا يبدون ولا يميذون ، وعاد الدوق فينيزيا الى البابا بالبشرى وقال له لقد آن أوان الانتفاض على العرب بعد هذا التفرق وكان عدد المبشرين في الاندلس ألفاً والمعلمين ٤٨٥ وقد صرف البابا نصف مليون من الذهب الوهاج لترويح الخمر فقط بين أبناء يعرب وهكذا جاءت جيوش النصرانية فاحتلت بالنسيه ونهبت المدينة وفضحت الأبطال أمام آبائهم والسيدات المصونات أمام أزواجهن الذين غادروا البلاد تاركين المال والبنين خشيّة القتل بعد أن قتل من العرب ١٢ ألفاً لدفاعهم عن أعراضهم فقط وثلاثون ألفاً لا متناعمهم عن اعتناق النصرانية وأحرقت المعاهد الدينية وحولت المساجد الى كنائس وجلس ابن الازفولش على تخت الاندلس فأحرق ٨٠٠٠ من كتب المسلمين وقتل ٤٠٠٠ عربياً قربانا للمسيح

عندكم نبأ من أهل أندلس فقد سري بحديث القوم ركبان

كم يستغيث بنالمستضعفون وهم أسرى وقتلى فما يهتز انسان
بالأُمس كانوا ملوكا في منازلهم واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم لهالك الأُمر واستهوتك أحزان
وهكذا استعد الافرنج للعرب فقضوا عليهم وأركن العرب الى الخول فأصابهم
مارأيت .

اغتنام الفرص

جاء في الأثر عن سيد البشر « اغتنموا الفرص فإنها تمر مر السحاب » ولكننا
لا نفهم شيئا من ارشاد المرشد الأعظم ولا نتدبر أسرار حديث الحكيم الأكبر ،
ونحن لو فعلنا لسكننا من المفلحين . واذا ما نظرنا الى الغربي نجده لا يترك فرصة الا
استثمرها وهذا الحاج عبد الله فلي يغتنم صداقة الملك عبد العزيز بن سعود بالأُمس
فيخترق الربع الخالى ويعود الى بلاده بأُكليل من الغار وتاج من الفخار وكذا الدكتور
بترى المبشر في « الشيخ عثمان » بجوار عدن يغتنم فرصة مرض حفيدة الامام يحيى
في تعز فيرافق البعثة الطبية كمستشار للطبيبات ويهود حاملا تقريرا عن اليمنيين يقول
فيه انهم قوم يعتقدون بالخرافات والاورهام وكرامات ابن عاروان الخارقة وما شاء له
هواه أن يتقول به عن اليمنيين الذين اكرموا مثواه

ان كل حديث من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يثبت لنا أنه لا
ينطق عن الهوى وان كلامه أصدق حديث بعد كلام الله وفي الحديث الذى افتتحت
به هذا الموضوع من الحكمة الرائعة ما لو تدبرناه وعمانا به لفزنا فوزاً عظيماً ،
ماذا عمل ديزرائيلى لملك مصر وهو ذاك السياسى الانكليزى النابغة ؟ انه اغتنم
فرصة بيع حصص قناة السويس فاستحوذ على اكثرها وبذلك ملك مصر رغم أن الذى
فتح قناة السويس هو افرنسى وكان يظن ان أمته ستستثمر جهوده وتستملك أرض
النيل ولكن ديزرائيلى « ترك دلسبس » يحرق الأُرم ويتمنى لو أنه لم يكن فتح باباً
واسعاً للانكليز للاستعمار . وكيف ربح الانكليز الحرب الكبرى ؟ انهم اغتنموا فرصة
غرق الباخرة لوزيتانيا فأقاموا حول ذاك ضجة هائلة سحبوا بها امريكا الى الحرب
في جانبهم وهكذا قضوا على المانيا ولو كانت الهند ومصر والعرب وغيرها اغتنمت
فرصة الحرب الكبرى لكانت استقلت عندئذ ولما اضطرت الى الكفاح الذى نشاهده

اليوم ولكن المفكرين في الشرق قليلون ومعتنى القصر أقل، والذين يدونون العبر للفائدة العامة في الشرق يعدون على الاصابع . أما في الغرب فإن الكتب السرية التي بيد المأمورين وأهل الوظائف الحكومية لا تخصى لأن الغربيين يترهبون بالشرقيين الدوائر ويوم تفرغ خزينة ابن سمود يساطون عايشه الدويش ثم ابن رفاة ثم غيرها وبذلك ينتقصون الجزيرة من أطرافها وهذا دأبهم في الحبشة والهند وفي كل بلدة قضى عليها سوء الطالع باحتلالهم لها أو مجاورتهم إياها

ان أوروبا خضعت لنابليون لأنه كان يعرف كيف يغتتم القصر ، ملك إيطاليا بتساق جبال الألب وهى فرصة لم تخطر لأحد ببال ، وملك ألمانيا باختراق الغابة السوداء ودهور النمسا بتحطيم الجليد تحت أقدام الجيوش النمساوية الجاراة وعاد من مصر عند غفلة الأسطول البريطاني . ورجع من جزيرة الباء عند ما أهمل حراسه حراسته ولكن روسيا اغتتمت فرصة بعده عن بلاده والبرد القارص الذى وقع فيه رجاله فاحرق مدينة موسكو وتركته بين ابليس والبحر العميق كما يقول الانكليز

ولكن الانكليز لم يتركوا له فرصة لعبور المانش والالكان قضى عليهم وكان يسميهم «أهل الخوانيت» ولقد ندمت انا مرة على فوات فرصة لو اغتتمتها لكنت اليوم اعمل احسن الشهادات من جامعات الانكليز في الحقوق . ولكن مرض زوجتى «أم على» اعاقنى إذ ذاك عن القيام بذلك الى أن ماتت رحمها الله

وقد ذهبت تلك الفرصة ادراج الرياح وها انا اليوم «تاجر» اضع هذا الكتاب وانا في بلاد الصومال حيث لانوادى ولا جمعيات ولا مكاتب ولا كتب أرجع إليها بل اكتب كل ما اتذكره للعبرة والذكرى ، ولقد أعجبني الأستاذ احمد محمد سميذ الأضيح حين سافر الى جيبوتي لبعث الأعمال فجعل طريقة على هررودردوة ثم لاحث له فرصة الرحلة الى أديس ابابا فام يضيها لانه قد لا يتمكن من زيارة الحبشة مرة اخرى في المستقبل كما هو الواقع وكان قبل هذه الرحلة قد تمكن من السفر الى عواصم أوروبا مختصاً اسعد القصر

النظام والترتيب

كثيراً ما يعيب الناس على الرجل اندفاعه في الكلام بلا تزو وتسرع في العمل بلا تبصر وكثيراً ما يحدث الاندهاش وعدم الترتيب اختباطاً هائلاً في الاجتماعات العامة والحفلات العمومية أوفى أثناء الحريق وساعات الغرق أو عند انسحاب الجيوش أو في ساعة الدفاع في المحاكم واستجواب الشهود وفي غير ذلك من المواقف الحرجة التي تتطلب ثباتاً ورباطة جأش

صور أحدهم مرة دماغ نابليون فقسمه ادراجاً تحتوى على السياسة والجندية والبحرية والقضاء والشئون العامة الداخلية والشئون الخاصة الشخصية ، ثم قسم كل درج الى بضعة خلايا مرتبة ترتيباً فنياً بديعاً ومنسقاً تنسيقاً جميلاً يجعل الناظر يعتقد أن مثل ذلك الداهية لم يك ليقتل في أعماله وخطته لولا معاكسة الأقدار والتهور عرفت الأستاذ عطا حسين مثلاً للنظام والترتيب في جميع أعماله بعد العدة لسنة من أول يوم فيها بل قبل حلولها بأسبوع فيضع لنفسه برنامجاً يسير على جادته وقاما يضطر الى مخالفته فيتم عمل كل يوم في ذلك اليوم غير تارك لليوم الآخر أى عمل من الأعمال التي يجب اتمامها في اليوم السابق ، وهكذا عرفت الخواجة بيس العصامي الافرنسي فان تراكم الأشغال بين يديه لا يعيق قيامه بالألعاب الرياضية وكثرة واجباته لا تمنعه عن ملاحظة مستخدميه والسؤال عنهم وفحص أشغالهم وما ذلك إلا لأن الغربي تعود أن يضع كل شيء في محله ويقوم بكل واجب في حينه ، فاذا ما وصله خطاب وضعه في الملف المعد له عند وصوله . أما الغربي اليميني وغير اليميني مثلاً فانه يجمع خطاباته التجارية خطاباً فوق خطاب السنة إثر السنة وإذا ما جاء يوم الحاجة الى أحدها تراه مضطراً الى تقليب أوراقه وفحصها ورقة ورقة منقباً عن ذنابه المذمومة بين الأوراق المكسدة بعد أن اختلط الحابل بالنابل ، وهكذا يضع عليه وقته الثمين سدى وقد لا يجد ما يريد فتراه كئيماً مهموماً كثير الاشغال التي خلفها لنفسه بعدم ترتيبه لا يجد فرصة للمطالعة ولا الحضور الحفلات الأدبية ولا للرياضة ولا للترفيه . وطالما تعرض لاستنشاق الغبار المتطاير من بين تلك الأوراق القديمة وطالما مرض بسبب إهماله . الغربي يحفظ عادة في جيبه دفترأً للفكرات يدون فيه واجباته في كل أسبوع ولذلك فانه يبر بالوعد ويحضر الدعوات في الوقت المعين ، أما الشرقي فقد تعود أن

يعد وعوداً كثيرة ولا يبر بواحد منها ، وهكذا بلغ الغربي درجة السكال ووصلنا نحن الى أحط الدرجات لأن عدم استعدادنا للحوادث من جراء اختباط أحوالنا وعدم ترتيب أمورنا يجعلنا نخلف الوعد وننكث بالعهد ونضطر أن نقسم الاقسام ونقدم الاعذار الواهية ارضاءً لمن نسميهم أصدقاء . أما الغربي فإنه اذا ما قصد أن يعد ولا يفي أعد العدة لذلك وقد سحبتنا لمساعدته في الحرب الكبرى واخراجه من المهالك بعد أن تعهدنا باستقلال العرب ، ولكن لما تم له ما أراد نكل ، ولما طالبناه أخرج عصاه وقال اصمتوا ! وطالما شاهدت رجالا يصمتون عن الاجابة على خطابات أهلهم وذويهم البعيدين عنهم ويتركونهم على أحر من جمر الغضى وكل ذلك امدح ترتيب أنه الخلم وتنظيم أحوالهم .

خذ خطاباً من أوروبا تجده بالغاً الدرجة القصوى في الحساسة ، الدقة والنظافة والنظام الجذاب بخط جميل ومداد واضح أو مكتوباً بالآلة الكاتبة المنيقة ، ولكنك قلما تجد ما يضاهي هذه الخطابات بين خطوط الهنود والصينيين ولا تذكر اليابان لأنها قد بلغت شأواً رفيعاً في التمدن الحديث وعرفت من أين تؤكل الكتف اذ لا يخفى على اللبيب الخاذق ما في ذلك من الدعاية التجارية العظيمة لهذه الامم

لاحظت مهندسين ان اوراق دعوات الزواج في عدن تصدر مفعمة بالغلطات المطبعية بحجة انها تطبع في مطابع اجنبية ولكن أصحاب الدعوات لماذا لا يكفون أنفسهم تصحيح غلطات المصنف حتى صارت بعض الغلطات مما يحجب الذوق السليم وتأبأها الاسماع ، ولطالما كانت سبباً للامتناع عن اجابة الدعوات ، وسبب كل هذه العيوب الخلقية هو الكسل الصرف وعدم التعود على اتقان الاعمال وعدم الرغبة في بلوغ السكال . وكذا قل عن اعلانات الصور المتحركة والتمثيل حتى في مدرسة الحكومة وفي ادارة البلدية وغيرها

لا ريب ان اخلاق اليمنيين هي مثال الاستقامة والنزاهة والشرف ، ولكنهم بعدم ترتيبهم يخسرون كثيراً من ثقة الناس بهم . فانك اذا وصلك خطاب تجارى من الحديدة أو قعطبة مثلاً تجده مانقوفاً على بعضه وقد تلوث بعرق الجمال ولون النيل واصبح من القدارة بحيث لا يصالح ان يبقى وثيقة في ملف معتبر ، وكذا قل عن نظام الحسابات التجارية فانها عند العدنيين على وجه الخصوص بالارتياب ولا إتقان ، ولهذا فانك تجد العرب عرضة لاهانة جاني رسوم الارباح وكواهلهم مثقلة بالرسوم رغم أنوفهم وهم لو نظموا ذاتهم وحساباتهم المادفوا دانتاً واحداً خصوصاً في هذه الايام القاسية أيام ١٩٣٣م التي لم

يعرف التاريخ اياماً اقتصادية عصبية مثلها ، واذا سألت صديقاً عن سبب اهماله قال لك انه يريد أن يتخلص من دفع الرسوم ولا يعلم أنه يقع من حيث يريد أن يتخلص ، وان عدم ترتيب الحسابات التجارية على القواعد والاساليب الفنية قد أودى بعشرات التجار الى مهوى الافلاس واليك الاسباب :

المرء عرضة للنسيان حتى انه لينسى ذويه وأقرب الناس اليه اذا غابوا عنه بضعة أيام وأسابيع فما بالك به لا ينسى النظريات الاقتصادية والاستنتاجات المالية اذا لم تعرض أمام عينيه في كل لحظة ، ولذلك فان التاجر الذي يتبع الطرق المنظمة لا تعزب عن ذاكرته النظريات الاقتصادية بل تجده يرى فيها كل يوم حكمة جديدة وابتكاراً مفيداً ويترك هذا العمل يأخذ بذلك متى وجد الربح هناك أكثر

عرفت تاجراً عربياً كان يرى الخراب في عمله يعمل كل يوم بمعول فعال ولكنه كان مستمراً لا ينكر في العاقبة حتى أفاست ، اليس عمله مثيراً للحنق ؟ اليس انه نتيجة جهله المطبق ؟ ينتظر المخرج من لحظة الى أخرى دون أن يفكر في الخروج من المأزق . لقد كان غير منظم في أموره غير مرتب في حساباته ولذلك مضى يحسب الديون الهالكه ديوناً حية حتى وجد ذات يوم خزينته فارغة بل ضحية لجهله وغروره ، وهكذا بلغني عن رجل من أهالي جعقجة سمع الناس يتسابقون الى مشتري جلود الفهد فهرع لمشتري ٢٦٠ جلدًا منها بأسعار عالية بدون سابق معرفة بهذه الجلود وفي عشية أوضعاها اضاع رأس ماله كاملاً وجن وهو اليوم مكبل بالحديد ، فتنكر !

لو أخذنا مثلاً لنضربه لأنفسنا لأخذنا شركتين تجاريتين من أعظم الشركات على وجه البسيطة وهما شركة شل ، وشركة سنجو الأولى لاناك المكرر والاثانية للمأكبات الخياطة وفكرنا ملياً في أسباب نجاحهما وصدهما لتيارات الزمان كل هذه الأعوام لوجدنا انه لم يأخذ بأيديهما الى ميادين الملاح والغنى الفاحش سوى النظام الهائل الذي تدير عليه هاتان الشركتان في جميع الأعمال ، اذ لها أنظمة مقررّة تحتم على كل عامل من عمالها أن يسير في ضوءها ولا يخالف تعاليمها المطبوعة في صدور خاصة لكل فرد من أفراد الشركة ومتى قام العامل بواجباته مرة على ذلك المنوال أصبح المبحر المجاز الأعمال على تلك الطريقة عادة مستحكمة فيه لا يتأتى له مخالفتها ، وبهذه الوسائل النظامية عاشت هذه الشركات ورجحت ، ولهاتين الشركتين وأمثالها نظام احصائي هائل لجميع الواردات والصادرات تعرف بواسطته ما يستهلك من حاصلاتها ومن حاصلات منافسيها في ميدان العمل وتعرف جميع الاصناف التي تستهلك أكثر من غيرها في

السلع والامد الذي تحتاجه لينفذ والايمان التي يعيل الناس لدفعها وغير ذلك من الأمور الاقتصادية حتى سيطرت على ناصية الأعمال. وللشخص في التجارة والصفن أثر كبير في هذا النجاح ولكنه تخصص كامل فليست المسألة مسألة بيع جاز فقط ولكنها تصريف مئات الحاجات من المواد السائلة الملتببة فلشركة شل مثلاً جاز النخلة وجاز الغزالة وجاز الشمس المشرقة وبنزين شل وبنزين الطيران والزيوت العديدة للدهن والزفت وغير ذلك مما لا يقع تحت حصر وكذا قل عن شركة سنجر وما تصرفه من ماكنات وأدوات ومراوح كهربائية وغير ذلك من الحاجات الدقيقة الصنع كالخيط والابر والمقراض والمقالم لأن الترتيب هو الذي يضمن لها عدم اختباط الأحوال واضطراب الأمور ،

انا نمجد لسل دولة متمدنة أنظمة بدلية تسيير عليها وتتبع نهجها : فهذه الدولة الانكليزية مااستقامت الا على دستورها العجيب الذي رقى بها الى أعلى مراتب المجيد واليك البيان :

الملك هو رأس الدولة بيده مقاليد السلم والحرب ومصير الامبراطورية وتأيد قرارات البرلمان أو ارجاء تنفيذها ، ويليه مجلس الشورى العموم والوردان متى اتفقا على قرار نفذ ومتى اختلفا اضطر مجلس العموم ان يقرر ذلك في ثلاث جلسات متوالية في كل الشئون المتعلقة بالتشريع والضرائب ، وهناك وزراء مسؤولون تناط بهم الشئون الداخلية والخارجية والجيش والبحرية فالخارجية لها وزير خاص يتعلق به وزير المستعمرات ووزير الهند وسفراء الدول وقناصلها الخ كما تناط به بخارجة الحكومات الاجنبية وادارة دفة السياسة الدولية ويتعلق بوزير الداخلية وزراء المعارف والحقانية والمواصلات ويتعلق بوزير الجيش وزراءوقواد ، وبوزي البحرية آخرون وكلهم يرجعون الى المصدر الاعظم ، وهذا يرجع الى الملك ، وكلهم مسؤولون أمام الشعب ولكن القاريء الكريم اذا رجع الى بدش الممالك الشرقية بمجد مالك الهين المنفدى الامام يحيى هو السكل في السكل ، وكذا الملك عبدالعزيز آل سعود وغيرها من ملوك الشرق الذين يطلب منهم الشرقيون القيام بأعمال تفجج عنها عشرات من صناديد الرجال ، وسبب كل هذا نسياننا للواجب ولو قام كل فرد منا بواجبه بأمانة واخلاص لكاننا اليوم في أسعد الأحوال ،

إن للعيشين نظاماً مخيفاً في بث الدعاية النصرانية ولولاه ماقدروا على غش أحد من الناس ولكنهم يؤسسون المدارس والمستشفيات ، ويطبعون الكتب ويدسون فيها

السم التبع ومحطون ويعطون وهم ياتكون على الممار كل يوم حتى يملأهم الناس
تقاسد الفرد لسيدته ففسرى عبيدهم الى فلوب الحيلة والالتمال والنساء الرقعات
الشعور . ولولا ايمان الوداد محمد عند الله حسن رحمة الله وجهاده العسير فى بلاد
الصومال لسكان المشركون اليوم فاروا وأفلحوا ولكن الله ميم يوره ولو كره الكافرون
ارحم العارف أنها الفارىء الكرم الى عصر نابعه الدهر الامام عمر بن الخطاب
رضى الله عنه تحفه بدون الدواوس ، ترتب الأفعال والشئون المائلة على أهم الفواعل
وأكلها وكذا كان الحال فى عصر العباسيين الدهى وعصر الابدلس الالادى أما
اليوم فأكثر أمراء الشرق وملوك آسيا وأفريقيا يصرفون أكثر أوقاتهم لمصالحهم
الخاصة ، لا تأبهون للشئون العامة ولا يهتمون احوال الرءه الا نادراً ونصايهموسهم
قطعهم وحشهم وأعمالهم فى مآدس الشهباء ، وهكذا احتملت أمورنا وصاغت
أوطاننا حتى لقد رأيت أمير حائككوار فى الهند طائفا عن بلاده انه برأ عبيده فى
أوروبا عبر عالم بما تحرى منها من أمور محببها عا ه أد ينفها هو نفسه باسم قول
بى الاساءه صلى الله عا ه وآله وسلم « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيه »
ان سر المقدم الاوروى كائن فى نظام رعيه البائمه وجهدها وفى أساليب المعلم
الحديثه الى قام يدعو البهاة الى الاملايه « دنوى » الامريكى الدهى وفى دهلم علوم
الفلسفه الفلسفه أو كما اسمها بعضهم علم الملوك الالادى الى اتت الافرنج فوه
الملاحظه ومعرفته مدارك الناس

سافرت مع أحد تجار مصر صوف من برره الى حمحمه من أعمال بلاد
الصومال مناهه ٤٥٠ م لادهاا وانا فى وديان وهان وسهول وحرون رحال
وجمول وفري وهان ووادى بن أشجار وأطوار وثمار وأزهار ، وكان حصره الزهرى
يشرع باليوم عند سفر الاده حتى يصل الى احدى المحطات ، وهى اسأهنا السفر
اسأهنا اليوم ، وهى وصافنا الى مدينا حصح الى الزاب هالاعداد مكاء الا لأم فى
السارة صره أخرى وهكذا نوالسب حتى عدينا الى برره رال ح لم يعرف من
رحا ه سوى اسم مدينا « هره ه وحده هه » واسم رجل واحد فقط فى كل مدينة
ولم نستطع عند الايات ان نقول لنا هل كانت الارض راءا أم خرداء حاه أم
رمابه وهذا هو حال جميع احوالنا من عرب وهنود وصهنا ، فانهم لا تكادون يعرفون
بمدلول الديان والاعراب فى أوروبا وأمريكا وأفريقيا واسرائيل وآسوى اسم
« مارس لنا » « ولندن » وهذه حقيقة واقعه

سافرت في ذلك الزمن نفسه بعد رجوعي من حجة إلى مدينة برغو وكان معنا تاجر وضابط من الإنكليز وقد لاحظت أن التاجر الإنكليزي تمكن في بضع ساعات دغم عجرته وسوء خلقه من تدوين أسماء المحلات التي مررنا بها ودرس الأرض وجبالها وماءها وأشجارها وحيويتها ونظام معيشة أهلها واخذ صوراً عديدة للمناظر الطبيعية وقبل تمام الرحلة سمعته يكلم الصوماليين بلغتهم فتدبر !

الأسفار

حسنا الله تعالى في كثير من آيات القرآن الكريم على الضرب في ربوع المعمورة والاستفادة من النظر في الكائنات الحية ومخلوقات الله التي لا تحصى والتي لا تتأني لأي إنسان أن يراها جميعها في بلدة واحدة أو حتى في قارة واحدة رغم جنيته الحيوانات ودار المجائب (المتحف) الذي اتخذته بعض المدن الكبرى لتوفر على قومها وبنيتها مشاق الأسفار ووعثائه . وفي الأسفار من المنافع والاعتبار ما يفوق الحصر والله در شاعر القرس حيث يقول :

« بدريا در منافع بيشمارست أكر خزهى سلاسه ذكر كنارست »
و خلاصة المعنى أن الدر التي في قاع البحر، وأما من أراد سلامة روحه فليبق على الشاطئ . وما احسن قول الزهاوى :

الترب ابساؤه عزوا اذا نزحوا والشرق اهله في أوطانهم هانوا
وفي هذا البيت من الحكمة البالغة والموعظة الحسنة ما يتجدد الذكر الجليل
للشاعر العراقي الفياسوف

لقد أولع العرب أيام عصرهم الذهبي بالأسفار وجوب الاقطار فقتلوا الفيافي والقفار، وركبوا متن البحار، واخترقوا بطون الجبال وعمررو الامصار وفاجحوا الارض واقتبسوا العاوم واضافوا اليها بنات افكارهم وعصارة ارائهم وأظهروها في حال قشبية ومدنوا الامم ونشروا الدين الاسلامي والثقافة الاسلامية، وبفضلهم أصبحت بلاد الصومال وأفريقيا الشرقية جواوا وغيرها مسلمة ولكن :

أولئك أبائى لجئى بمثلهم اذا جمعتنا يا جبرير المجامع
لقد زالت تلك الدولة وانقرض أبناؤها الأعجم وقام الترب على انقاض الشرق

وحذا أبنائه جذو الرجال السابقين وأثوا بالعجائب ، هذا ما ذكره باولو الرحالة الروماني يغادر إيطاليا ويصل الى الصين فيأتي عنها بأغرب الأخبار ويشوق رجال الأقدام الى اقتحام الاخطار فلم تلك الا عشية أو ضحاها ، وإذا بأبطال المغامرات يبارحون الأوطان ويرحلون الى أقصى البلدان ، وإذا بكولومبوس يكتشف أمريكا وماجلان يصل الى جنوب القارة الاميركية الجنوبية ودافيس يصل الى شمال القارة الاميركية الشمالية .

وسرعان عقب ذلك ما وصلت قدم فاسكو داجاما الهند وقدم القبطن كوك استراليا وإن تعجب فاعجب لأقدام السير فرنسيس دريك وهو يتطلع المحبطات الثلاثة على سفينة الشراعية ويتبع خطواته البوكيرك القائد البرتغالي فيصل الى أبواب عدن ثم يشمر عن سواعد الجهد والعمل رجال الحرب والطلعن والضرب وأرباب السيوف والاقلام وطلاب المغامرات والارياح ، فلم يذو ربح من الزمن الا وقد نبغ أمثال لاورد كالايف والقبطان ديلكس في الهند والقبطان « ولف » في كندا والقبطان هاينس في النيجن وأمنال هؤلاء الرجال هم الذين أسسوا الامبراطورية البريطانية على أسس لا تزغزعها تيارات الأيام . ومما لا جدال فيه أن أصل الاسطول البريطاني هو الاسطول الذي كان يملكه القرصان في عهد الماسكة اليصابات وهي التي شجعت الملاحة البحرية وأنجبت في عهدها الاسطول البريطاني الذي قضى على الأكرمادا الاسبانية أعظم أساطيل القرون الثلاثة في أوروبا ، فما أعظم تلك النفوس الهائجة بسبب الجهد وتلك الأرواح الطائرة الى ذرى الفخر المضحية بكل مرتحض وغال وبالنفوس والنفوس لا عالة شأن الأوطان ولا اكتساب المحبة والعظمة والجلال ، حتى دانت لها الدنيا ونكست أمامها الرءس وانحنى أمامها الشعوب احتراما ووفارا أو خوفاً ولكن أولئك الابطال المغاوير من نجار وبشربين وقرصان وسباسبين وجنود ما قاموا بتلك التضحيات الا بعد أن عرفوا قدر المحيد وقيمة الأوطان شأن كل أمة نارت فيها روح البقية والنجوة القومية والنار الوطنية ، فقامت تشيد صروحاً للجهد وتبني دوراً نعمة رفعة ، ثم أخذت من العلم فسناً وافرأ ، وتحأت بفضل الاخلاق حتى برز منها أمثال افنجستون يخترق القارة السوداء ولا يتوانى عن المجازفة بروحه في سبيل تحقيق أمانيه وبظهير فيها « برد » يحاول اختراق غياهب القطب الشمالى حتى وقف العالم بكامله أياماً كاملاً أنفاسه مراقباً نتيجة هذه المجازفة والاقدام النادر أقبع هذا نستعرب تسلط العربي على مرافق العالم المتمدن واستسلام الأمم لقوة

ارادته ؟ لئلا شق الاوربيون لانفسهم طريقاً آمنة في وسط عانه مضيقه وبن شعوب هائجة بعد أن أحصوا بها هدف الزغب في قلوب الأمم ، وجعل الاعتماد لسود عمومهم بان العربي لا تعاتب ولسان حال البايعي يقول

ولو أرسلت ربحي مع حيان لكان مهنتي يلتقي الساعا

يتمتع السفار العربون الى أقسام عديده وهم

الاول . المهاجرون الى المستعمرات الى مملكتيها أو مملكتيها غيرهم من الدول الاوربيه طمعا للمعاهدات الدوليه ، فان لا نظاما مثلاً أن مهاجر أردنيون ألعامن أناسها في كل ميه الى اسرائلنا ومثلهم الى اميركا ، وهكذا من الألمان وغيرهم من الشعوب اللانيستيه والسكسونيه والسلافيه واذا أراد انكسري أن مهاجر الى كندا فان الدوله الاريطانيه تقدم له المساعدة الكامله في تحريف أجرة الناحره الى ثقيله الى تلك المستعمره الناقصه وتقديمه رأس مال لأناسه له لوطد لقمه عملاؤه المهجر ، وأما اذا أراد أحسن أن مهاجر اليها وكان من النصف فان العراة ل نصف حجر عثره في سبيل تحقيق أمانه وأما اذا كان من السود يعني شرفاً فمحطور غلبه السم أو المهاجرة الى كندا أو الولايات المتحده أو اسرائلنا أو افريقيا الجنوبيه أو دنلانده الحديتة أو غيرها من البلدان الى مرور انقاؤها مهجراً لأنباء اللامير فقط هنا هول طمع الانسان وشده استبداده

ان أوروبا لا تقدر أن تعيش بدون الشرق الا إذا باع سكانها لأن حاصلها لاني غفالت أهلها الذين كثأثروا حتى صاف بهم الارص على رحبها خصوصاً انكثرا الى سدج ربح حاجيات سكانها فقط وفضل الى جانب نية مهاجراتها من المستعمرات الامنيه وكانها في هذه اللحظة تسمع المماول والمخارف تعمل همه ونشاط في البلاد الهوللانديه لردم الزويدرري وما ذاك سوى الانقياض على الا* ومناويس مقهونه من اماره ويامهون منه قطعة لاسمها بها بعد روجها وبررعوها لأن اطولاندين لم يجدوا محالا لمافسه كاز المس عمرى لصفوا الى الهمد الشرقيه هذا عرسه إلا في حب البحر . ان هذه المطقة لن عر عليها ربح من الر من إلا وقد أصبح رياضاً غشاء ، فأعظم هذه النعوس المعاده الشفاء نفوس العرب الذين صربوا الارص بأحجهم وفحصوا على أرحانها محالهم ، واحتسكروا حيرانها لأنفسهم ولا أحتادهم في الاح الى الفاديه ورفضوا أن يوا أحتادهم من بني الانسان لهدش معهم في أرض الله ، انتاعوا كل ما حاد به الطمعه من حمر عميم فقصوا على رهايه العالم المتمدن وعلى المعاون

الشرى والرجه الاساسية وسدوا الائمة العالمية المحاصرة الى ادهقت العوس
وأدهقت الأرواح

ولكن لماذا اسعد الشرى للماومة هذه العوى التى تحير الافكار ؟
والقسم الثانى من السفار الغربيين هم المسخدمون فى المستعمرات وهم على وجه الاحمال
من الطقه الثالثه فى العوم يعادرون الأوطان متى صاقت بهم رحاها كخند وصاقت
ورؤساء الادارات السياسيه والخبره والاشغال العمومه وأخلاق هاه الطقه عاده
لا تكون أعموداً أخلاقياً صالحاً فان أكثرهم يكون الى الاسدنداد أقرب منه الى العداله
والأدب فهم يحشرون الشرى الناس ويعطرون إلهشدا ولو علاقدا . وأما المسخدمون
فهم طاهم يصرفون همهم الى السميث والدرس والتأليف كما فعل الكولبل حيكس
الاسكبرى مؤلف كتاب ملوك العرب فانه أحب النخ والعصبه الخميه وهو اليوم بذائع
عنها تكل قواه فى البرلمان الاسكبرى وقد قرأ له رساله من فيها لدوله أن النخ
أمة محدوده يجب أن يؤنه لها وتميزهم بمرصها ،

والقسم الثالث هم التجار وهم عاده طفه مهاديه رافيه فالأ ناس معلوم دوما وظالما
وحديثهم بهمون كعب باماون الناس لأن المضاعفه بمرضى الخامله وأكثرهم قد طاف
أقطار الأرض وبلبل فى فلوب الممالك ومد ساحوا فى آساء الدنيا لم يسمهم بلادكمهم
أن يرحوا فيها وهم يحملون الاصبه الى الصين واليمن والجار الى افريه ا وبلاد العرب
وخر الهند الشرقيه والهند وسجرون عماره فى الحديد والحد الممروع والادوات
الكهربائيه وآلات الصور والادويه والأقمشه عبر أن العربى بدأوا العوم
بمهمهم من كرمهم ويندهون من سناهم ولذلك فانك تجد بحاره منشتر سكاد
تورق أسواق الصين والهند وقد اصدهت بحاره البر الامريكاني فى الخشما
والصبرمال تماما وحل محالها البر الامان والهمى والهندي وبوماها الاكاريه وما
البر الاندس المحمودى

وللتجار الافرنج نظام اقتصادى عظم فى كل فون البحاره عمرما وفى طرق
السكس حصصاً لهم شركايت هائله للأمان وأطمه بدمه للاعانه وهم يعمون
سبح وسجاء فى معاشهم الى حد الاسراف ؛ لأن ذلك يحمف عنهم عبء الملاج
فى البلدان الشريه حيث الخاره شديده بالنسبه الى بروده الطقس فى أوروبا ووجودته
رانما الخالون وهم قيمان . قسم برى الى درس مسقط الوحى ومهد المدن الشرقي
الحيل - حيث الاهرام والباح محل وراودا وحيث العوى والورع والهدو والقشع
(م ٧ عا)

والصوفى وحيث النقوش والعمارات وحيث الصبر والجهد وحيث آثام الجند الدائر
والعظمة الزائلة والخلول الحديث والجود العتيق - وحيث المعائب والغرائب
والسكروز الدقيقة والميادين الفسيحة والروائع العبقية - فيأتى منتقياً دارساً مدوناً للمعبر
معتزاً أن كان من أهل الانصاف بما للشرق من حقوق وفضل وهذا سرتوماس
آرنولد يصدر كتابه أخيراً Legacy of Islam التراث الاسلامى فينسب الفضل
كله في مدينة أوروبا اليوم إلى المسلمين قاتلاً : انه لولا الحروب الصليبية ولولا الأندلس
العربية لما كانت أوروبا على ما هي عليه اليوم وفي مثل هؤلاء الرجال ورجال التاريخ
نجد الخلق المتين في ثبات وإقدام وعدم كلال وشجاعة نادرة . وقد أخبرني السيد علوى
أبن أبي بكر العطاس أن دكتوراً ألمانيا وصل الى برهوت في حضرموت فدخل في
تلك المناور وتغلغل في أعماقها رغم الاعتقاد السائد بين الحضارمة أن الشياطين
تسكن هذا المحل والابالسة تكنتفه وانه مطلسم لا يدخله انسان الا ابتلغته المردة
والغفاريات لقمة سائغة ، ولكن الدكتور الألماني خريج الجامعات وريث
الأكاديميات المتشبع بالنظريات والحكمة والمنطق لم تؤثر تلك الخزعبلات عليه
فوجه آمناً مطمئناً وعرف مافيه وبقي يحوس خلاله ٦ ساعات متواليات ثم خرج بعد
أن ظن رفاقه الظنون ، وكان التنبألة يعتقدون أن لمجن أكلوه في ذلك الغار ولكنه
خرج مع خارطة تشرح هذا الأثر الطبيعي الذي لم يدخله أحد من أبناء حضرموت
غير العلامة السيد محمد بن عقيل رحمه الله لأنه كان مثال الثبات والفهم والادراك
لأزعزعه خرافات الجاهلين ولا تثبط عزمه قصص الخرفين .

وأما القسم الثاني فهم طلاب الشهرة والجاه والمناغم والراحة وتبديل المناخ ومكاتبو
الجرائد وهؤلاء لا نعرف عنهم غير القليل

خامساً الخبراء - أن تقهر الشرق أدبياً كل هذه الاجيال يضطر بعض الممالك
التي في ايمان نهستها الى استخدام بعض أهل الخبرة في الطب والهندسة والميكانيكا والمعارف
والاقتصاد والحقوق والزراعة والمالية ولا يوجد في العالم في أيامنا هذه أكفأ من
العربين في هذه المظان بيد أنهم نادراً ما يكون الاخلاص شعارهم خصوصاً اذا كانوا
يقتسبون الى دول مستعمرة . وقد رأيت بعض الكتب السرية التي يكتبها أمثال
هؤلاء الرجال فيضعون فيها من الاسرار عن البلدان التي يخدمون فيها مالا يقدر أن
يعرفه أحد سوى دولة ذلك الخبير ويكفى أن يعرف القارئ الكريم أن طيئاً ألمانيا
اكتشفت دواء ناجعاً لمنع مرض النوم المؤدى الى الموت من سم ينفضه نوع من

الذي يسمى « تسي تسي » في منطقة السكونجو من أفريقيا وعندما عرضت عليه الدولة المالكة الملايين لمشتري هذا الدواء أي أن يعود به ويحقق دماء ألف الضحايا بهذا المرض المعضال الا اذا كانت تلك المقاطعة تعطى لدولة المانيا !

قال أحد قناصل هولاندة ذات مرة : اذا أراد الجن خبراء فعليه بتجربة رجاله من سويسرا والدنمرك والجمهورية الفضية اى الارجننتين والسويد ، لانه ليس لها أغراض استعمارية ، ولكنى أقول ان في اليابان والهند ومصر وسورية وتركيا رجالا لوجر بناغم لسان عملنا أجدى وأنفع ، لان الشرق بدأ يشرق في سماء الرقى وينذر رداء الحول سادسا المبشرون - ماهؤلاء الناس على وجه الاجمال سوى جرثومة فساد جروا على شعوب الشرق الويلت فهم يباحون أوطانهم الى كل ربع من ربوع الارض على حساب جمعيات تبشيرية يحملون في قرارة أنفسهم الخطط الجهنمية لاغوائنا وتغيير اعتقاداتنا وسابنا أفلاداً كبادنا ووضعنا الى الابد تحت نير الاستعمار ، (اقرأ رواية المؤلف التمثيلية « حبيب الله خان والمبشرون في جريدة العرب في سنة مفرقة وجريدة الصراط المستقيم في بغداد) وخلاصه انظر ان قوماً من المبشرين قصدوا الهند وطلبوا من نائب الملك السماح لهم بالسفر الى افغانستان لفتح مدرسة ومستشفى لخدمة الانسانية وهذه هي الدرائع التي يتوسل بها هؤلاء الناس لبائغ أغراضهم ، فكتب النائب المذكور الى الأمير حبيب الله خان ذلك الملك الشرقى الخشك فأجابه : أنه القوم اذا أحبوا زيارة بلاده فعلى الرعب والسعة على شرط أن لا يتدخلوا في الدين أو السياسة. وهكذا شدوا الرجال حتى حطوا على الترحال في كابول عاصمة الافغان وهناك قوبلوا بالترحاب والتكريم وبعد أيام قايامهم الأمير فرضوا عليه مقاصد هم الانسانية مما جعله يتعجب عجباً لا مزيد عليه اذ رآهم يهتمون ببلاد لا يبت اليهم أهماء بملة قرابة ، ولا يتصلون بهم بنسب أو معتقد وقد كان جوابهم ان الجامعة هي التي تدفمهم لخدمة الناس مهما تباينت أديانهم وتباعدت أوطانهم وأنه ليس لهم من وراء ذلك لامعنه ولا مقصد سياسي أو ديني غير وجه الله الكريم وقد جاءوا بمئتي ألف ربية لفتح المدرسة وعمارة المستشفى ، فلم يسع الأمير الا ا كبار هذه التفضيحة وعين لهم عقب ذلك مجاساً تناظروا فيه مع أطباء البلاد وعلماءها فوجدوا الناس في تنور ظاهرون تقدم باهر ولكنهم احتجوا بانهم انما جاءوا ليعلموا المعارف ويرفقوا بالمرضى ، فانقذت في قاب الأمير نيران الوطنية وتنهت فيه عاطفة الانسانية أكثر من كل زمان مضى فأضاف الى ما بأيديهم من الأموال مثلاً ولما عزم على القيام بالعمل وجدهم قد بدأوا يبنون بذورهم

التبشير بين الناس فما كان منه إلا أن أمرهم بمغادرة بلاده . وقد اعدوا الكرة كما شرحت أعلاه في أيام المرحوم محمد سيف الاسلام في الحديبة فانكشفوا فطردوهم كما كشف السيد عبد القادر الحسيني الجامعة الأميركية في مصر منذ عام واحد .
قال لي أحد المبشرين مرة انه يستغرب خطابي ضدوهم مع انهم لم يسألوا الى .
فقلت له : أين وملكك يا حضرة القس ؟ فأجاب : انه الدمارك التي تبعد ٧٠٠٠ ميل عن عدن فقلت وماذا جاء بك الى هذه المدينة الجرداء ؟ فقال : انه تحمل المشاق والانتاب لنشر كلمة الله فقلت له : أمن ٧٠٠٠ ميل تأتي إلى عدن لنشر كلمة الله على اعتقادك ولا يكون في عملك غربة وأسير أنا ١٠ خطوات من بيتي الى المسجد لا ادعو الى الله على اعتقادي فتستغرب مني ؟ فالحم !

ماذا اكتسب الغرب من الاسفار وماذا جنى من الثمار اللذيذة ؟

الغربيون ألفوا الاسفار وألفوا الكتب وشرحوا في بطونها مشاهداتهم وتاريخ الممالك والامم ووصف عاداتهم وأخلاقهم وجمعوا من رحلاتهم الاموال الطائلة والعلوم الكثيرة وجمعوا كنوزاً لا تأكلها التيران واستعمروا بلدانا صارت لهم تراثاً وأوقافاً حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً .

التركي

قامت فرنسا في القرن التاسع عشر تريد أن تسيطر على العالم وعلى رأسها نابليون بونابرت يدير دفة شؤنها ويقود أبطالها الى ميادين الجيد ، فما كان من أوروبا الا ان تألبت عليه واتحدت ضده فقاومته انكثرا وفرنسا واسبانيا والمانيا والنمسا وبلجيكا وهولانده وروسيا وغيرها مما أدى الى زوال دولة نابليون . وفي القرن العشرين أعاد التاريخ نفسه بانحاد دول الغرب على غليوم الثاني حتى سقطت دولة آل هوهنزلرن ودولة آل هابسبرج ودولة القباصة آل رومانوف ودولة آل عثمان وتأسست بعد ذلك جمعية الأمم وميثاق كيلوج ومعاهدة لوكارنو ومؤتمر نزع السلاح ومؤتمر ديون الحرب وكل هذه المؤتمرات نذل دلالة فطمية على استعداد أوروبا دائماً للانضمام لبس على الجانب خسب بل حتى على أعدائهم من أبنائها اذا ما لاحظت أن أحدهم يريد أن يستبد بها ، وقد وجدت بالأمس ، ولكن بعد فوات الاوان، انها أرهقت المانيا بالتعويضات عن الحرب العظمى وأن ذلك جر على أوروبا الخراب وعلى العالم

الدمار ، فاجتمع أقطابها في لوزان وقرروا إلغاء تلك الديون الباهظة واحلال مبلغ مقرر محلها تدفعه ألمانيا وهامم اليوم يأتمرون كل لحظة ودقيقة في لندن حول المائدة المستديرة وفي أوتوا وفي لوزان لتقرير مصير منشوريا أو لاتشال الخمسا من هدية الأفلاس أو لاقتسام القناتم أو لحل المشكلات ، اما الشرق فلا يزال في سباته لا ينتبه وأهله أجدر يمثل هذه المؤتمرات . ما بال الشرق لا يحسن على أخيه الشرق ؟ فهذه فلسطين تستغيث وهناك بخارا تحتضر ومأساة طرابلس تدعى العيون وصدى الظهير البربري يوغر الصدور وويلات الهند تؤلم القلوب وخروج مصطفى كمال وجماعته من حظيرة الدين الخفيف بدى الافئدة ؟ هل مات الشعور المحي في أهل الشرق والاسلام ؟ هل انطفأت جذوة القومية وخمدت نار الوطنية ؟ هل انعدم الوجدان ولذلك ضاعت الاوطان ؟ ما بال السيوف قد علاها الصدا في أعماقها والقلوب تحجرت في صدورها والعيون حمدت في محاجرها ؟

الانفوس أبيضات لها هم أما على الخير أنصار وأعوان

فهل يعد هذا الاحتياط والتخاذل لا تزال تتساءل بماذا تقدم التريبون ؟

الاوربي حر يص على حقوقه ضنين بها لا يتنازل عن مثقال ذرة منها وهو حر صريح يجاهر بحقه ويطلبه ولو من فم الاسد ويقيم الدنيا ويقعدها اذا لم ترد اليه حقوقه بل انه يتصلب في طلب ما ليس من حقه . ومثل أسوقه اليك للاعتبار :

اعتقل الهيلوسلاسى الرأس طفرى ملك الحبشة أحد أتباعه الذين خالفوا الرأس هيلم فلما سجنه جاء سفير إيطاليا يدعى أن الرأس هيلم معه « بأسبورت إيطاليا » وأنه بذلك يعتبر من رعيا إيطاليا منذ نفث وثلاثين سنة ثم طلب السفير الافراج عن الرأس هيلم وألح وعرضت المسألة كما فهمت على جمعية الامم التي لم تجد مناصا من انكار تبعية الرأس هيلم لدولة الطليان ، والمسألة اليوم من أعقد المسائل المطروحة أمام الرأس هيلم وقد تؤدي الى امتشاق السلاح لأن الافراج عن الرأس هيلم معناه تسليم مقاطعة جيجام الغنية التي يرأسها هذا الرأس لأيطاليا وساخها عن أهمها الحبشة وهو ما فاضل عنه منليك الثانى ودفع عنه إيطاليا في القرن الفائت

فهل رأيت أيها القارئ كيف يعد التريبون المدة للزمان وكيف يتجنبون الفرص وكيف يتمسكون بحقوقهم ان كانت تسليح ان تسمى حقوقا ويدعون الباطل عند الحاجة ويسمونه حقا ؟

دخل احد كبار الافرنج مرة على مصطفى كامل باشا رسول الوطنية المصرى فشاهد

امام مسكنه عدداً كبيراً من الجرائد العربية فسأله عن مواضيع بحث الكتاب في ذلك الزمن فقال له ذلك الابن البار نامته : ان اعم موضوع بطرقه الكتاب هو « الاتحاد » فاستعرب الاخر فحسب ذلك قائلاً . ان هذا الموضوع معروف منه في أوروبا وان الناس هناك يتحدون طبعه ووجد أسسوا الشراكه التجاريه والمجتمعات التعاونيه وألغوا الاحزاب الكبريه والوادي الضمالة وهو قول لا مريه فيه فقد اتحدت اديكترا وفرنسا وايطاليا ونقضوا أفريقيا وهى القارة الثانية في العالم ومساحتها ١١ مليون ونصف مليون ميل مربع وسكانها ٢٠٠ مليون من الخمس كلهم يأمرزون بأمر الدول الثلاث العاتيه وأقسام صغيره لاحقه بالنمانيك والرب ل ١٠٠ ان اما المسلمون والمسيحيون والسوربون واليهود وغيرهم فلا يزالون كزمن انا سادى في صحفهم وكسهم كما كان الحال في عهد مصطفي كامل رحمه الله

لانه الانس عن عنها مالم يكن منها لها راحر

الا وروى يعرف كل شارده ووارده عن بنى حسنه في ربوع الارض قاصدها ودانها ، يستشجم اصناف الاتصال بهم بالمسكنات والمخاربات وقراءة الجرائد ومطالعه الكتب والرحلات والسفر الطويل في البوادي والمجتمعات ولطالما قرأت ناهتمام حطاطات تلامذة المدارس الاوربيه والاميريكيه الموجهة الى أبناء العرب في عدن وغيرها ليصلوا بهم ويصرفوا ما جمع عليه من أخلاق ؛ لان الكتابه عنوان الكاتب ، وبعده هذا نجد أبناء المسلمين فهم في اليمن والحديثه وبلاد الصومال وغيرها لا يعمسون صحيفه ولا يقرأون مجله ولا يسألون عن احوالهم ولا يهتمهم إلا أنفسهم ناس الخائف الشرير « من لاهمه أمر المسلمين فليس منهم » لا يكتفون لا شدة حتى وان كتب لهم ويصل الحكام منهم همه اشراك في حريده أو مجله أو نادى أو مدرسه

فاب لصدى الأديب الشاعر المحرر والكاتب المذبح الشجع على س احمد باكثير ان الامه العربيه وكثير من امم الشرق لا بد لها بعد الاستقلال من عربيه كاهن لربوع الشأو الذى بلغه أوروبا اليوم لان هذه كات في سنة ١٧٣٣ م أرقى من شرق الساعه لواسم اليوم فقال : ان الشرق سيفتس مدينه العرب المائله أمامه وأن السكان اذهب في أقل من نصف قرن فهاب أن العرب أيضاً وجد أمامه حصاره العرب العظمه ومدينه الرومان الزاهيه وعلوم اليونان المعصيه وأن السكان في مباح أرضها وهيكل أهلها وصنانه مواشها وعزاره أمطارها وجوده أرضها وحصب مزارعها ما ليس العرب ولا للفرس ولا للإفغان ولا لمصر ولا لأند الى تكاد تكون

فقيرة من الموائىء الحصنة لا يواء أسطول يصد عنها غارات الزمان ولا أنصكر أن الشرق قد يبلغ الجزاء في أيام قلائل ولكن من يضمن لى أنه يستعيد أخلاق أجداده الامجاد ؟ ولو فكر المنصف البصير لوجد أن البيان لا تزال فى أول درجات الرقى وانها لم تبلغ الى ما بلغ اليه الالمان والفرنسيين والانكليز من أدب رائع وفلسفة وحكمة وطب وهندسة ، ولا بد من مرور الاحقاب واقتحام العقبات قبل ذلك ولنعم الى موضوع الانضمام والتساند :

خذ نظام الزكاة فى الاسلام ، خذ نظام الاوقاف فى الاسلام ، خذ نظام الجهاد فى الاسلام ، خذ نظام الصلاة فى الاسلام ، خذ نظام الحج فى الاسلام ، خذ نظام الزواج فى الاسلام ، تجد العجب العجيب ، تجد فى هذه الانظمة التى شرعها الله لعباده وضمها أسس النجاح والفلاح والرفاهية والسعادة والقوة والمنعة ، بل أس الوحدة المنشودة التى لا انفصام لها ولا أقول للشرق بكامله أن يتحد فان ذلك غير ممكن فى هذه الساعة المضطربة بل لا يمكن ان يتحد كل المسلمين دفعة واحدة الا اذا بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم مرة أخرى

ان إيطاليا كاثوليكية فاشيستية وانكلترا بروتستانتية رأسمالية وفرنسا لادينية مادية ، فالحاد هذه الأمم دينا غير ممكن بل هو المستحيل بعينه ولكنهم قد يتحدون عند اقتضاء المصاحبة كما شرحت آنفاً

ما أحسن نظام الحج فى الاسلام حيث يجتمع الناس فى صعيد واحد ، يابون تلبية واحدة ، ويؤدون نسكوا واحداً ، ويؤمنون قلة واحدة ، شيء عجاب وأمر مستطاب اذا ما قسناه بفرق المسلمين سياسياً وقومياً ومذهبياً ، وكذا قل عن نظام الصلاة وتساوى الناس فيها ووقوفهم خاشعين قاعين ، راعين ، ساجدين ، حامدين فى آن واحد وبينهم المالك والفقير والأمير والضعفك ، وعندنا نظام الزواج الوحيد من نوعه بين الشعوب البشرية كما عندنا نظام الزكاة البدع الذى لو أخذت الأمم بمقتضاه لما كان هناك شجوة ولا اشتراك ولا باشقية ،

ليت شعرى أى جامعة أعظم من جامعة الاسلام ؟ وأى وحدة أقوى من رابطة التوحيد « لا اله الا الله » مبدأ الدين الاسلامى وأساسه و « قل هو الله أحد » لفظة الاخلاص وطريق الخلاص « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم » وقال جيل وعلا « وخلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ولقد أمرنا الله بالاتحاد التام بقوله « ولا تفرقوا ففتشوا

وتذهب ريشكم » وقد خاطب الناس بقوله « يا أيها الناس » لأن البشر جميعهم الرابطة الإنسانية قبل كل اعتبار آخر ولكن المسلمين اعملوا العلم اعمالا مشينا وغيروا معالم هذا الدين العظيم بأيديهم وأدخلوا فيه ما ليس منه وشوهوه بكثير من البدع فأطنأوا نور العلم وساروا يتخبطون في دياجير الجهل مما قادم الى هذه الانحطاط وهابوية الهوان فقوم صرفوا همهم الى المعاش وظنوا أن الدين ليس سوى طقوس وضعها الفقهاء ، وآخرون انصرفوا الى المعاد نايذين المعاش ظهريا ولما لم يجدوا ما يقوم بأودعهم حصل عندهم شك فباعوا بالحسرة وانقلبوا حشرات ضارة مع ان الله تعالى أو صانا بالمعاش والمعاد وقال سبحانه من قائل عليم ورب عظيم « ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقمنا عذاب النار » لأن الدنيا ذريعة ومطبة للآخرة واليوم المضار وغداً السباق والسبقة الجنة والقاية النار ، فالدنيا والآخرة وحدة لا تتجزأ ولا سبيل الى الآخرة وسعادتها بدون العمل الصالح في الدنيا ، فهذا هو الدين وهذا هو التوحيد ولكن أين من يعي ويعمل واجباته ؟ والله لوعمل المسلمون واجباتهم لفازوا فوزا عظيما والله لا يضيع أجر من أحسن عملا

مبال ذنبا المسلمين تأخرت أهنأك شئ في الخلق يعوق ؟

تأخر المسلمون لأنهم نسوا أن ناسوا ثقافتهم الإسلامية بالكافة ، أما الافرنج فقد استخلصوا ثقافة غربية من المذنبات البائدة واتبعوها بكل دقة وأصبحوا ولهم قيافة واحدة وكتابة تقريباً واحدة وأدب متلائم وعادات واحدة وأخلاق واحدة يعدون من ليس من دينهم عدواً لهم عملا بقول الانجيل « من ليس منافقو ضدنا » يسيرون في ضوء المبادئ والنظريات فان مرو الشهير قال كلمته الخالدة : « أميركا للامير يكن » فكانت القول الفصل الذي لا يشبل النقض وقد عمل بها جميع الامير يكن لحفظوا الاوطان من كل أجنبي وكذا المسلمون حفظوا بلادهم أحقاباً طويلة عند ما كان فيهم عمر بن الخطاب وصالح الدين الايوبي يسرون وشعارهم أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يسكن الجزيرة العربية كافر بالاسلام وفوله عليه الصلاة والسلام : « ان الجزيرة لا تنسج لدينين » ولما أغفلوا أمر الذي لا ينطق عن الهوى أحاق بهم المكروه وأصبحوا في ديارهم ناديين ، ضاع شرف الاسلام ، ضاع مجد المسلمين ، انقصت وحدتهم ، تفرقت جموعهم ، تبدد شملهم ، ذهب عزهم ، وكل ذلك لضعف إيمانهم في هذا الزمان وقد قال الخلاق العظيم « ولا تحزنوا ولا تنهوا وأنتم الاعاون إن كنتم مؤمنين » وقول الله حق ولولا ضعف الايمان لما رمينا بأخس أنواع الهوان !!

يوجد في السجل ٢٥ مايو من المسلمين لا يهتمون من أمور الاسلام سوى الدر السير واذا عدت أحدثهم هندوكا فرح بذلك لظهور بالهندوكية على الظهور بالاسلام رغم كثرهم في السجل كثره ساحته وما ذلك الا لانهم حاله بمحصارهم على الهندوكين وكذا هل عن الخوجه المدهش عن الاستماع له فاهم في أحكام المواريث طاله على المذهب الهندوكي وهم مسلمون واذا ما أختات الطرف في ربيع افرنيا محمد ٣٠ مايو في السكوتو وعددا عهراً في السمعان لا يهتمون شيئاً عن الاسلام وعاماً في مصغوط عليهم حتى أنهم لا يهدرون على اشادة معهد علمي كما أحرق في الاسناد عبد الخلم بدير ولا يسعى الا الاعجاب بما طاله كاتب الشرق الاكبر أمير النان الأمير شكيب أرسلان في احدى مقالاته الخالدة في مجلة الفصح العراق « ان تناس احسان المسلمين يصف حجر عثره في سبيل تقدمهم » واني لا أرى للمسلمين طريقاً للالتزام الا المحلى بالثقافة الاسلاميه والعمل بموجبها والسير على منها

نظام الرواح الذي جاء به القرآن هو أعظم الانظمة وأندعها في سبيل تحقيق الوحدة الانسانية فان الاسلام جعل النساء حبل الاتصال بين الامم فالرجل الذي يتأني له الرواح ناكث من واحده وكذا احواله وكذا أولاده ينسب من الانتساب الى شعوب ومنازل ترابطه النسب التي بعد من أقوى الروابط الانسانية فيجد المصالح وصوى الوحدة ،

هناك لو ائحد المسلمون لتتبدد نظام الركاة وجعلوا ذلك مؤمراً وحرية يدفعون إليها كل ما يجمع لديهم باخلاص وأمانه كما كان الحال في زمن الخلفاء الذين عكفوا بفضل محافظتهم على أحكام الدس الحنيف من بدوئع العالم بأسره فكذلك أنها المأريء الكريم أن يعرف أن ٤٠٠ مايو من المسلمين لو دهموا أول الركاة المفروضة على كل فرد منهم وهي ركاة الفطر لحصل لديهم في كل عام ٤٠٠ مليون ردينه واذا ما أضما الى ذلك ركاة الأموال لحث عندئذ عن البخر ولا حرج فيها كانوا ليعلموا اله حائب ويسرحون المجد الدائر ، واني لأشعر بقشعريرة حسنة في هذه اللحظة لند كرى إهمال المسلمين واعمالهم الهائل الذي أودى بعظمهم وحدث عن نظام الاوقاف ولا حرج فان للمسلمين من الاوقاف ما لو نطبت لما ركب فقرا معوردا ولا يتما حائلا ولكن الاوقاف الاسلامية أحى عاينها الذي أحى على ليد وأكلمها بطون الائمة وامانت لذلك صديدا ورقوما وعسانا مانت بالحديث منهم بطون وهي نار عطاؤها الامعاء

«ربنا لا تأخذنا من نسياننا وأخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا نمنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين»

لو كان للفريسيين من الأنظمة كالتي وضعها الله للمسلمين لسادوا البشر وشادوا أكثر مما سادوا وشادوا، ولكنهم اقتبسوا عن الاسلام كثيراً، ألم يمنعوا الخمر في أمركامن حيث شربه المسلم؟ ألم يجزوا الطلاق وقد منعه شرائعهم؟ ألم يأمروا بنشر العلم رغم احتجاج الأكابروس؟

بل وقد أسسوا الجمعيات الاشتراكية والتعاونية وغيرها حتى صارت لهم أنظمة بدعية نعجب بها وزيد أن تنبس منها مع أن عندنا من ذلك ما لا يتطرق إليه لأنه من عند الله

التخصص في العلوم والفنون

زار حصرة الأستاذ طاحسين لندرا وعند عودته أخبرني أنه زار الدكتور H.A. (هول) العلامة الانجليزي الشهير، الرياضي البارع، واضح كسب علم الجبر المشهورة فسالته بشئف عن مهارف هذا العالم وقد كان دهشى عظيماً عند ما أجابني أن هول يكاد يكون جاهلاً في غير العلوم الرياضية التي تخصص في دراستها وتدرسيها فقهرت أن من أمرار تقدم الانكليز والعربين عموماً بتخصصهم في العلوم والفنون التي وجدوا في أنفسهم استعداداً تاماً لاقتناها بالطرفة ولذلك برزوا الى مبادئ العمل وهم يحملون ألقية البراعة والانتهان وحكيمة بناء المجد للارطان، والله در الامام الغزالي حصة الاسلام حيث يقول: «ما نظرت صاحب علمين الا غابته ولا نظرت في صاحب علم واحد الا غابني»

يوجد في أوروبا والمجالات الطبية وهذه تنقسم الى اقسام: ففيها التخصص بالجراحة، ومنها التخصص بالاسنان ومنها الذي لا يتخوض في غير مرض العين ثم تقرأ المجالات الطبيعية في الباثولوجي (علم الحياة) والجيبولوجي (علم نباتات الأرض) والاثولوجي (علم طبقات الناس) وكل مجله تكاد تنقسم في أبحاث دون الأبحاث في العلم الطبيعي وتترك لنهيا مجال البحث في الشؤون الحضنة، وكذا الحال فيما يتعلق بالمجالات التاريخية والرياضة

الدين أمام الاسماعيلية في الهند ، وقد صرفت جميع هذه النقود التي لاتأكلها النيران للمجاهدين والمحامين وأصبح أفراد العائلة يتضورون جوعاً . بعد ذلك الغنى العجيب لقد كتب علماء الاسلام في القرون السالفة المطولات ودونوا المجلدات والمراجع الكبيرة والمعاجم المفيدة وما على من أراد التخصص في فن أو علم إلا أن يرجع إليها فيجد ضالته المنشودة متفرقة في بطون الاوراق ، وعلى طلبة العلم بعد أخذ القسط الوافر من العلوم والفنون أن يتخصصوا في الشئون التي يحتاج إليها الناس ، ولا يخفى أن للخبر والمتخصصين درجة رفيعة اليوم في العالم : فالأختصاصي يمرض العين والأختصاصي يمرض الانسان والأختصاصي يمرض الجلد والأختصاصي يمرض العقل والأختصاصي في فنون الميكانيكا والهندسة والقانون الجنائي والقانون المدني يجعل لكل واحد من هؤلاء ميزة أو درجة يسمونها بين الناس ، ولقد أعجبت ما كتبه السيد محمد رشيد رضا في موضوع الخلافه فقد وفي الموضوع حقه . وما اشتهر العلامة الجليل ابن تيمية إلا لتضلعه في شتى المعارف ومعرفته لما معرفة تامة . ومن المار على المساهدين أن تكون المواد متنوعة لديهم والكتب الكثيرة موجوده بين أيديهم ولا يقومون بواجب جمع شتات المسلمين وتوحيد صفوفهم ، وقد كتب لي أحد كبار المستشرقين مرة أنه يخاف على الدين الاسلامي من النقد ؛ لأن النقد أضاع الدين في أوروبا فاجتبه ان القرآن قد تهدى الامم ولا يزال وأنه لاخوف عليه طالما الله حافظه وطالما عجايبه لاتنقض وجدته لاتبلى وان العالم العلامة هو الذي آتاه الله فهما في القرآن وان النقد لم يزد الدين الاسلامي إلا جلاء ووضوحاً .

ان التخصص اليوم شرط من شروط الرقي وفروض العلم اليوم تجعل التخصص لازماً ، فقلما وجدنا طبيباً ومهندساً في آن واحد أو محامياً وميكانيكياً معاً ، لأن ما يجب على العالم درسه لا تقان أحد هذه العلوم بمنعه من خوض غمار غيرها ، ويعجبني في التزيين أنهم لا يأتون من الاعتراف بالعجز والاعتراف بالعجز فضيلة وقد قال لي يوماً الدكتور فاريلما الجراح الشهير خريج جامعة كمبردج أن معاونه الاخصى يفوقه علماً بأمر العين وعلى كل حال فلا بد من الاعتراف بأن التخصص في علم واحد يحتاج الى طول أناة وعدم ملل وازغام النفس على الصبر ؛ لأن التنشيط النفس لما تجهد في ذلك من لغة الثبات اذن هو أس النجاح

الشيور القومي

لم أجد أحدهم من الأسماء يفصل أفراده عنهم بمصاعيل الأجانب كالأوروبيين فالإنسكاسرى
 يعتمد أنه سيد البشر وأنه أرفعهم قدراً وأعلىهم كبراً وهذا بالنسبة إلى نقيضة الأهم
 المستعمدة، أما نظره إلى نفسه الأوروبي فهو ينظر إليهم كأبداد طاهراً ولكن به كعب ،
 لأنه في الحقيقة يعد نفسه أكر منهم وأرقى ، ومهما تكن من سداحه الأفرنجي وبلاهمه
 وحيله وعقله فإنه يعد في نظر ابن جنده أرقى من الشرق وإن وفرت كرامته وطاب
 أرومته الأهم إلا إذا انصب المصاحبة المؤفة للروح عن هذا الفرد ليس جهلاً يفصل
 الشرق وكرم محاده واستعداده الفطري لرفعه ولكن محاملاً يقتل ، وحوطاً من أن
 يستشعر عزة في نفسه . ولذلك نجد أنه لا يستجدم في الإدارات العالمية الوطنية إلا الاحباب ،
 ومن بين الوطنيين لا نجد سوى الأسماء مالاً والمقصود من ذلك أن لا يكون الوطنى بأنه
 أرقى علماً ومداركاً من سيده المستعمر وإنما إلى ما شاء الله يعتمد أن مولاه الأفرنجي
 هو رب الفصل والعلم والمعرفة فيكون ناشراً فضيلة والمودع ، لأن الجاهل إذا ما عرف
 شيئاً قسلاً طن أنه نلم أوسع الثرما وأنه السكلى في السكلى وإذا اعرف يوماً يفصل غيره
 في أن ديك السخص تكون في نظره علامة الرمان ولو كان الإنسان في عاهه الجهل
 حصص ذات يوم احدهم لا يوفى أول أحد الولاء إلى إحدى المستعمرات فخطب بعض
 الناس ويحدون بالقدام وطلا وبه نشر العلم فكان منه إلا أن قال لهم انه قد كر أن أحد
 رحاطهم الذى كان من أعظم المساعدين على بوط ديلم الاسمعار كان دائماً يشكر الله لأنه
 لم يعلم شيئاً من العلم لأن العلم يوسع نطاق المسئولية الشخصيه انه العالم بحكم عاهه يعلم
 الناس الجاهلين ومن هذا فهم الاسب أن الاسمعار بعض بشر العلم بن الناس وأعظم
 بما ذكرت قول الوالى المذكور أنه سمعه لى فيبازر له لأساس شىء من المدارس في البلاد
 ولكن يجب أن لا ننالاه أحد هناك بعد ذلك الجاس ، وكان ذلك عن الاحتمار بل
 الاحتمار محسناً لأن أولئك الوطنيين الذين علمهم الاسمعار حبسه لا نعساها هاهنا جميع
 البحار ألا وهى تركهم يرسقون في أعلال الجهل وتخلطون في دياجره
 ان الأفرنجي فلماذا ما يعترف يفصل غيره لأن التفاضل الاو في بن العربى والشرقى
 أصبح عظماء هائلاً والسياسة فوق ذلك بمعنى كعب نفسه الشرق بالخط من كرامته
 واستكار فضله وتثبط عن يمه وادماراً شيئاً شديداً لهذه القاعدة كاعطاء طره نون للشارع

رندرات طافور الطائر الصيت والدكتور بوزفا ذلك الامن قبيل تخدير الاعصاب
والنفع على الجراح
والآن قد آن أن يحدو الشرق حدو الغربى وان يعرف أنه ان لم يكرم نفسه بتكريم
أخيه فلا عجب ان يبق مهانا ومن لا يكرم نفسه لا يكرم . ومن كرم نفسه كرمه الكرام
أجمع . ومن مبادئ الدين الاسلامى الاساسية ان « المسلم أخو المسلم » ان المسلم هو أخو
المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يخرقه ومن هذا الحديث نفهم واجب تقديم
المسلم للمسلم على غيره في المعاملة وهذه اليابان اليوم تعمل في هذا المضمار بصرامة
وشدة هائلة فان اليابانى يندثر بضائمه من أخيه وان كان الثمن مضاعفا وذلك هو نفس
ما يفعله الغربى .

النفع والرفاد

الغريون يفتاحون ويرشد بعضهم بعضاً فقد طالما سمعت أحد كبارهم يمتد
مستخدماً في ادارته وفهمهم وكيف يجب ان يقوموا بواجباتهم ، وقد رأيت دوما
يصاح أغلاطهم ويعينهم على التعلم والترقى ويصبر عليهم صبراً طويلاً وهذا هو الخواجه
١ . بيس التاجر المشهور في الصومال الذى يجلب الالماني والافرنسى واليطيانى والروسى
والبلجيكى والاكاذيرى رجالاً ونساء فيبيعهم الى الحبشة واليمن لدراسة تيجارة الجلود والبن
والشمع والصمغ وغير ذلك ثم يولاهم المناصب العالية ويعطيهم الرواتب الباهظة حتى يثمنوا
العمل والتجارة . ومنهم من يبق في خدمته ومنهم من يستقل وقد صار ماهر عارفاً
بكل طرق التجارة وأسبابها فيكسب المكاسب الطائلة بفضل الخواجه بيس ومدرسته
الاقتصادية العظيمة الرافية بكل معانى الرقى والتفوق وأى مدرسة أرقى من ادارات
الخواجه ١ . بيس في مختلف الاقطار وأعماله المتنوعة ،

والغربى يغض الطرف عن سقطات أبناء جنسه ويحترم رئيسه ويصبر على غيرته
وخصوصاً امام الشرقين ، وقد اتفق ذات مرة ان قابات القنصل المولاندى الذى كان في
جدة عند وصوله الى عدن في أثناء رحلته الى حضرموت وكانت الاخبار إذ ذاك
تترى عن القذائع التى اقترفها الطابان في طرابلس فانبرى ذلك القنصل يدافع عن

الغاليان قائلا : انهم اناس متمدون ولا يعقل أن يحدث ما حدث على أيديهم . مع أنها كلها حقائق وأظهر من الشمس الشرقية والحق أبلج ، غير أنهم جيلوا على انتحال الاعتذار لبعضهم البعض واحتقار الاجانب أو العمل بالمثل السوري وأنا وأخى على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب » وهم في خارج أوطانهم أشد تمسكا برايتهم الغربية فلم نسمع قط ان أحد الافرنسيس والغالايان أو الانكليز والالمان تخاضعوا وتناذروا باللقاب لافى الحبشة ولا في الصين لا كما فعل العاويون والارشاديون في جاوا مثلا وما ذاك الا لأنهم يفهمون من أين تؤكل الكتف وأنه يجب المحافظة على السمعة والشرف والهيبة والوفاء التي هي أس نجاح الاستعمار ، ونحن كل يوم نجد الشركات الغربية تتحد على تخديا الاسعار لبعضها وننتق على رفع أسعار مانورده وتخفص أسعار ماتصدرة والغالما ترصكوا المزاجمة والتنافس فأفأض ذاك عليهم سيلا من الارباح

قد يقول بعضهم ان السياسة هي التي فرقت بين الامم الشرقية والشعوب العربية ولكن الجمل وفساد الاخلاق ساعدا على كل ذلك مساعدة نامة حتى انك لتجد قوما يفضلون الاحتلال الاجنبى للعباز وعسير والجن على بقاء الوهابية والريود في هذه الاقطار ! قائلين ان الاوروبي ارأف من الملك العربي ! « صكرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون لا كتبنا » أفلا يعلموا انهم بهذا السلوك المشين يستبقون الى الشرف الوطنى وبهذا القول الخزى يمحرون الايمان فانه مهما كان في الملك المسلم من عيوب فانه خير من الاجنبى وان لبس لنا جلد الطروف وماعبد العزيز بن سعود والامام يحيى الامكان عريبان مسلمان لوفى كراحمهما اليوم (أو كلاهما) ان يذبحى تضحية جارية لتسكن من حفظ الاسلام أجيالا عديدة في واحة واحدة كما حفظت الاسلام منذ ٥٠٠ عام وحطين ٨٠٠ عام اخرى ، والدين والجنسية والمذاهب لا تؤثر على وطنية القوم فدأبا فان الوزير ديزرائيل وهو يهودى تولى دفة الامبراطورية الانكليزية اعزاهما مدينة وادار ولاية الهند الاورد ريدنج وهو يهودى ايضا وقد بي الاورد هنلى في البرلمان الانكليزى رغم اسلامه أمدا طويلا واما العرب فبعد العزيز عندى وهابى والامام يحيى زيدى وغندى فى الهند عند المسلمين هنسوكى لا يمكن ان يتزعم عليهم

هكذا هو الحال في الغرب والشرق والفرق بين الفريقين مثل الصبح ظاهر مع أن النصح واجب دينى من الفروض الاسلامية لقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأسرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الآية . ليت شعرى ماذا عمل المسلمون

بالاسلام وتعاليمه الذهبية ؟ ماذا عمل قابيل بأخيه هابيل ؟ ماذا عمل المسلم بالمسلم ؟ هل نصحه ؟ هل أرشده ؟ هل حن عليه ؟ هل أشفق عليه ؟ هل تألم لآلامه وما أكثرها ؟ ألم يتركه يتضور جوعا يتقلب على حجر الغضى ؟ ألم يتفجع عليه وهو فى أوصابه وأوجاعه لاتأخذه عليه شفقة ؟ ألم يبعه لاعدائه ويشى به ؟ أفأنا أن يقطع وخز الضمير نياط قلبه حزنا ؟ أما أن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ؟

أنا أكتب هذا وأمامى كتاب من صديق الاستاذ أحمد محمد سعيد الأصنج فى عدن يقول فيه هذه الجملة التى كلما رأيتها تضمضت كيانى وهطلت دموعى كالوايل المردار وهى : « والجزيرة كلها مضطربة والاستعمار يعمل بذشاط لتطويقها : بسور من نار »

ذهب الدين يعاش فى أكناقمهم وبقى الدين حياتهم لانتفع
ألا ناصح مخلص ؟ ألا مرشد متفانى يعمل فى صالح الدين والوطن ؟ ألا سامع
لنصيحة ومصغ اليها ؟ رباه لم تبق الا أنت أرفع اليك يدي ضارعا ان تخفف مهد
التمدن من الدمار ومهبط الوحى من الخراب !
لم يبق شئ من الدنيا بأيدينا إلا بقية دمع فى ما قينا

المصالح العامة

قسم بعض السادة الصوفية الناس الى ثلاث درجات : قسم وهم الاكثريه
الساحقة يعملون لنماء فى النفس ، وقسم وهم الخواص يعملون لغناء فى الخلق ، وقسم
وهم خواص الخواص يعملون لغناء بالله لا يبتغون بأعمالهم غير وجه الله لا يريدون جزاء
ولاشكورا كالأتنياء وكبار الأولياء وفى قول أرسطوطاليس من الحكمة البالغة ما فيه
وماخص قوله ان سعادة المجموع هى السعادة التى يجب أن يرى اليها الانسان أو
يجب أن تضحي بمصلحة الفرد لاسعاد الجماعة . والله قول المعري فيلسوف العربية :

ولو أنى حببت الخلد فردا لما أحببت بالخلد انفرادا

فلا هطلت على ولا بأرضى سحائب ليس تفتطم البلادا

الآن الى نى مدى عمل الاوروبيون بهذه القواعد والنظريات ؟

ان الصولة والدولة فى أكثر ممالك أوروبا وأمريكا أصبحت بيد الشعب الذى تنزل

الحكومة عند ادراته ولا يحالفه ولا يرفس مطالبه - حكومات ديمقراطية ،
جمهورية تمثل الأمة ولا تستند بحقوقها أو تحجب بها خلافًا لبعض الحكومات
الشرقية حيث الحاكم لا يدرس الامصالحة الشخصية وشهوانه النهمية ، تحتكر التجارة
لنفسه ويوطد المسبيل لدرسه بصرف النظر عن رعايت شعبه ومصالح وطنه ، وقد
قامت في العرب الحكومات الاشراكية والشوعوية والباشقيه الخطاره لنفس الجمهور
على الساطه حتى أصبحت المدارس عامره والمبجحه معتمى بها والانكاح عادلة والشئون
الداخلية والخارجية منطمة وحرية الفكر والارزاق والصحافه بلغت الدرجة المصوى
ووسائل التزاء والرفى مهينه والدولة معييده يماون ودمسور لا يمكنها بحالعه والا
حدثت فلاق ولثورات إلى أن يعود الحق إلى نصابه

في خلال الاشهر الماضية اضطرر مالكة انكسارا واهرب أركانها ودعاؤها هره كاذب
نقى على مركز الانكسار المالى وبهذه همفهمه العالم هم مسارعت الحكومة إلى عمل
اكتساب لفرص كثير فبرع الناس الى افراض الحكومة الملاسن من الذهب الزواح
رغم فراغ دات بدها ، قاموا بهذا سرور وعن طيب خاطر ولم يحزن فوره من الزمن
الا والدولة قد ملكت الذهب السكاهل من الاضهر الزمان فطن الناس الى الخارج أن
الحكومة الاسكاريه ما عارب هذا الدور العظيم الى الخوف منها على صانع سمعهم
التجارية وان ذلك لم يك الا بسجحه بونه وطلبه انساب الاما الانكسار به ولكن لم
تمس أنام حتى قضى الزمان البريطانى تتجهض الفائت على الفرص المسدى من ٥ في
المائة الى ٣ ونصف في المائة فقل الناس السعرا الخند نكل هده وسكبه رغم اسمعداد
الحكومة لارحاع الدينون الى اربابها ولكن الشعب لم يبال بالخساره التى ناعب الملاسن
طلما الرشح ينفور لولة والدولة تعمل لصالح الشعب فاعب هذه الطاهره الاخلاصه
الى نصف المرء حاطها مصبوحا والى برهن لاشرفى المسكين على ان قومهم ان لم يحاو
يمثل هذه الاخلاق المنسه فلا بدع أن: فهوهم يحب من الاستعمار ماشاءت الاقدار
هداروكما يرى الامر بكى المشهور بدفع ١٠٠ مليون من الاضهر المعبود لالعمال
الحريوالر من ساعدارس ومسدشقيات ومباحف وهلاجى ومكاتب مموه ومسرهاب
وبوادى واصلاحات عامه ولو اراد المسامون لماموا نكل هذه الاعمال فى قليل من
الزمان وما عليهم الا أن يؤدوا الزكاه تأمانه الى رب مال يعبوه لهذا العرص ولكن
ذلك لا يأتى إلا ادا كان لهم ملك عادل ومما كة مأموه فويه وهذا ايضا مسجل
الآن والمسامون لا يصعون فاصلا بين الاعراض الشجصه والمافع العامه

طالما رأينا انكليزيين وفين مخلصين صديقين وقد احتدم الخصام بينهما على موائد البرلمان وفي قاعات المجالس السياسية لانهم لم يتفقوا في المبادئ ولكنهما يعودان الى الصفاء والوفاء بعد مغادرة تلك المجالس بخلاف ما هو حاصل بين العلويين والارشاديين في اجاوب من التباغض والعداوة وبخلاف ما هو حاصل بين أهل بعض المذاهب الاسلامية واليك ايها القارئ الكريم حادثة أسر وأدبى وهي ان سميد باشا القائد التركي لجيش اليمن البطل المتقدم والاسد الضرم كان ايام الحرب في الحبح وكانت تحت يده مئونة وذخيرة حربية كبيرة فلما وضعت الحرب اوزارها وهدت نارها سلم الباشا جميع ما كان بيده من مال ونوال لاحتفاء ولم يسامحه الامام يحيى امام اليمن لأن الخزازات الشخصية والحقد على رجال اليمن الذين عاملوه معاملته سيئة تثابت على عقله وحالت دون قيامه بعمل مجيد يكون خاتمة اعماله في سبيل الاسلام رغم عظيمته الشخصية وشهادة التاريخ له بأنه من أجل الناس قدرا وارفعهم عن الدنيا لما قاما فقدظن ان الانتقام هو اعظم ملذات الحياة ولقدى ان الله انشد انواع الانتقام

ومن البديهي ان المصالح العامة اذا ما لم يجد الناس على تأييدها أصبحت مصالح خاصة ولذلك كثيرا ما اتحدت اوروبا على قمع شوكة تركيا وزحزحتها من اوروبا ولقد ذكر الامير شكيب اوسلان حفظه الله أنهم تألبوا وأغروا على تركيا مائة مرة ولولا خوف روسيا من تساط دولة أخرى على الدردنيل والاستانة ولولا قرار ولیم بت ان لا يخرج روسيا الى البحر الابيض المتوسط لكانت خرجت تركيا من زمن بعيد وما ظن مصطفى كمال باشا بنيد شرقيته الا يقول للافرنج « قد أصبحت منكم فلا خوف عليكم مني » وهكذا نوه انه يأمن غوائلهم ومصابيهم فأن لم يحدث انقلاب هائل في هذه السنين فلن يمض روح مقيد من الزمن ألا وقد نفرنج الأتراك عن بكاء أبيهم

ولعل أهم أسباب اتفاق الغربيين وترفق الشرقيين هي وحدة الثقافة الغربية وتفرق الثقافات الشرقية فقد جاء في الحديث الشريف « اذا ذل العرب ذل الاسلام » وقد قال دوزي المؤرخ المصنف « لا ينهض الشرق الا نهوض العرب » ولعمري ان المعنى البليغ في هذا الكلام السديد يستولى على مشاعر المفكر فيقف بعد طول التفكير مسامحا جازما بصحة الحديث الشريف الصادر عن الذي لم ينطق عن الهوى ومعجبا باستنتاج المستشرق دوزي ، والحقيقة انه لما تولى العرب على نواصي الشعوب جمع لوهم بحسن السلوك والاطمئنت بقعود مبادئ واحدة وثقافة اسلامية واحدة فكان من أمر المسلمين ما كان ولكن لما تضعف شأن الدول الإسلامية خذت كل

فرقة بتلابيب الثقافة التي تلبها في البيئة التي تنحيا ، وهكذا تفضعت الشعوب
الاسلامية لمخالفتها تلك الثقافة البدعية التي رافقتها في حطها وترحالتها وفي كل محل
ومكان ولذلك نقرر اليوم مرة أخرى ، أنه لا نهوض للاسلام والشرق الا نهوض العرب
ويتحتم لذلك ان يقوم للشرق كله لانهاض العرب من كبوتهم حتى تنصاح الامور
جميعها ويكون ذلك من قبيل التضحية في سبيل الصالح العام .

ان الافرنجي لا يتخلى عن حق من حقوقه مهما كان تافها فيحدوب على كل شيء وعلى
الاشياء حتى لا يضام هو وقومه ، وهكذا اخذ الانكاز كنسدا بدم ولف والسودان برأس
غوردون بلما والهند بمحاذاة الغرقة السوداء في «كاسكنا» التي اثبت التاريخ انها قصة مافقة
ليس لها من الصحة اقل اثر ، وعندئذ نمتا لما نخر به العرب من باشرتهم وديار دولة وبنياى ميرا
لعروس شارلس الثاني وكذا فل عن بقية المستعمرين أما الشرق فانه ولوع بحير الممار
وعدم الميل الى المقاومة فهو يتخلى عن جنوب صحرائه وخلفه وعن السودان بلما بالوافق
وعن العقبة رغبة بالسلام وعن المجهيات خوفا من الامم طمان الخ فلانا أنه ينال علامة
ظفر من قوم ثم أطلقه ، إله الله على الاملاقي ناسبا أنه لم ان يقف في وجوههم وموقف
الاسباب عطالبا بحقوقه مشدبا بروحه في سبيل استرجاعها ضاع حقه وفقده وجوده
يظن بعض الناس جهلا أو بخيالا أن الحكومة الانكازية ستسلم للانام بحبي
ما يبدها من المحميات غير مجبورة ، والحق انها لو عمت لأخسنت الى نفسها وسمت فظهر ما
من سهام الندو اذا ما فاهت حرب شواء يومها من الايام ولكن الانكاز الذين
طوفوا العالم يسور دن فولاذ وتكاثرت واجبايهم ومسؤولياتهم لم يقرروا سياسة
خاصة بشأن اليمن فهم مسيروا بتاجريال الاجترال يماون كل يوم كما يتقننه ذلك
اليوم ، وأما سياستهم المادة فهي احتلال الجزيرة العربية فلنا اذا أمكن وقد ملكوا
الى اليوم منها سينا وفلسطين وشرق الاردن والشعبة والعراق والسعودية ومسقط
وعمان وجزر البحر الأحمر وسقطرة وعدن ومجور والنواحي التسع في جنوب اليمن
ولهم نفوذ هائل في اليمن نفسها والجزائر غير مباشر ولم يبق الا ان يشرع العنف الى
نفوس اليمنيين والحدادين لاصبح الله فنصبح المداستبان انكازيتان ، فالذي يطمع
بالكل لا يسلم مافي بده منه ودون تسليم المحميات اذن خرط القتاد رغم محاولة الكونيل
جيكب اقتناع حكومته بوجود النخلي عن هذا النواحي وهذا مثل من اخلاق الغربي الذي
لا يسلم بالتنازل عن حقوقه واذا ما قاومه أحد أخذ به الخناق وطوقه بالاطواق وأقام
عليه الدنيا واقعددها واستعمل لذلك كل وسائل النشر والبروباغنده كما عمل الامور

نودسكليف أيام الحرب العظمى ، وحادثة ذبح السرفرانسيس ديك لا قرب أصدقائه
في الاطلاق يوم ما كسه لازل في بطون التاريخ عالق بالاذهان .

الطبعة ٥

ان من جوامع كام امير الشعراء شوق رحمه الله قوله :

قف دوزراك في الحياة مجاهدا ان الحياة عقيدة وجهاد

وكل أمة ليس لها مبدأ تحافظ عليه وتدعو اليه وتذود عنه لامة جديرة بالسقوط
خاتمة بالاندثار وماخرج سيد البشر الامة العربية من هذه الانحطاط الأدبي
والفسل السياسي وقادها الى ذروة المجد ومنصة الكمال وملكها ناصية الشعوب
وسلمها قيادة الاُمم الا لانه قام ومبدأ التوحيد يصدع به غير هباب ، يضرب به
وجوه أهل الشرك والاتحاد وجاء القرآن مصدقا لما بين يديه وهو عليه على العرب
والعجم وشعاره « لا إله إلا الله محمد رسول الله » يدافع عنها بالمال والروح والولد
والعشيرة دائبا في الدعوة الى الله حتى أنزل الله عليه .

« انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته
عليك ويهديك صراطا مستقيما » وقد استمر صلى الله عليه وآله وسلم حتى عرف
اليقين وأنزل عليه الله هذه الآية الخالدة .

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً »
ولكن السامعين لما تناسوا مبدأ التوحيد العظيم وتضعفت أخلاقهم ورضعت
نفوسهم للفساد انحمت رباطهم وتدهوروا اذ جعلوا الههم هوائهم وقاياتهم شهواتهم .
واذا النفوس تطوحت في لذة كانت جناتها على الأجساد

لله أنت يا محمد من نبى صادق وقائد عظيم ومرشد مخلص وحكيم عاقل ومعلم هدايا
سبل الرشاد وأثار لنا طرق الخير وحذرنا متاعبة الهوى فاستسلمنا لابهيمية والكسل
فأصابنا البلاء ، أبى وأبى أنت يارسول الله ليت عبدك ترى أعمال المسلمين اليوم
وقد ضاع مجدهم وقعدوا شرفهم ، نسوا القرآن وأتبعوا الشيطان ، واليك أيها القارئ
الكريم بطل حطين الملك المادل صلاح الدين قام في وجه أوروبا باجمعها يدافع عن
الاسلام وعن البيت المقدس وقد رأيت ما كان منه واليك ما قاله الورد النبي يوم دخل
بيت المقدس

« اليوم هدمنا الصرح الذي بناه صلاح الدين منذ ٨٠٠ سنة » ولقد صدق فان

جهاد صلاح الدين الايوبي حفظ الاسلام الى الآن في الشام والبلدان والبلاد والجزى
ان برانا صلاح الدين وقد أصبحنا ذلك السؤدد الذي طوح بدمه في سبيل دناؤه لنا ، إنه
صلاح الدين لمدمعنا عمل الاطفال ولم تقدر على المحافظة على ما حلفت لنا من التراث
لقد ندرنا تديراً وأمرنا على انفسنا وأصبحنا ما حلفت لنا من مجد لانا حالما المادى
الدينية والمادى العوم ه حالما مبدأ القرآن وحالما مبدأ المصطفى « الله لم أحو المسلم »
وحالما امر محمد صلى الله عليه وسلم « لا يجمع في جزيرة العرب دينان » فأحق لنا
امر الله وأصبح ه ا قوم يبعثون ان الدين ألهم ه وهم مع ذلك ينسبون الى الاسلام
وهو منهم تراه واصبح هما حونة يدعون الاوطان بالاجر الزمان اعيد المسلمين ولم
محمد منهم أمر الله ولا اصلاح رسول الله ولا الرجال الافراد المحدثين صدقا وحما
ولا أفاد ه هم ارشاد جمال الدين الامينى ولا صنيات صني الصبي ولا مصطفي كامل
ولا سعد دعاول ولا نعم الشرى عاندى « لا لها لا معنى الاضمار ولكن معنى
القلوب التى فى الصدور » فام الامام شفى وشماره وحده المنى فأفصح بمرسا أو دل قد
أفصح لانه انى الى اليوم بالمعجرات وحدث عن نجاح الملك ه نبل وحموده في العراق
ولا جرح وإن أس لا أنسى هانى أمر السان الامير شكب أرسلان في حامي الاسلام
والعرب ولو وجد الملك عبد العزيز في أه ه مهديه وشعب ميمور لاثنى بالعنايت
اما العربون فامهم ه من اشبه الناس بحافظه على المبادئ والوطنية والعوميه والا حلاه
والساسة والعلميه ولهم ولوع هائل واعتماد أعظم بالمطاريات وال برعل هداها ولعلاما
حافظ المرء منهم على عقيدته حتى يكسها الحقائق المأموسه الى لا نعل البدن وهما تراه
بمرع وان حادله جمع الناس وأمامنا المنشرون بصرفون ملاين الحمد هات لا سمعنا
شخص او شخصين او لحد افساد عمائد الناس وهما لا طارا ما بدى متشاكس وهما
صرف المنشرون الصائير المتقاربه من الذهب والفضه حلال السنين سبه الماصه في
عان ولم بصروا سوى ولد واحد كاذ يعود الى حطاره الدين الاسلامى لو لم يملأوا
الامر مارساله الى ذاب الطب في الهند وانكارا
هل نارى بعمل العرب أو اليهود مثل ذلك ويصعدون اسجاء مثل هاهما هاهما ؟
وإذا أردت ان تعرف اهمهم لا يملأون فاطر الى ما أصاب طاراس وما احاق بالروم وبارك
بمسلطن وما طرا على بخارا وانظر الى حالة الجزيرة العربيه والخمسه والصومال وحوا
والهند والصين واقرأ بعد ذلك كعاد الامر شكب أرسلان « لماذا نأمر الله لادن »
الله فكرى الملك هارى أمر بطوره الانكار ترفض ولوبه أحده وكل
شىء أحسن في قصرها وكندا فل عن ملك انكارا وجمع أمحاله وبرى الانكارى

والأفرنسي يكرم أبناء جنسه ويلزم لهم كما كان يفعل العرب في أيام العرب الذهبية وعصور الجوهريه كلما نبغ فيهم شاعر أو كاتب أو عالم أو فنان يهتمعون حول عقيدة أو نظرية فينودون عنها بالقوة والسيف وإن أصابهم ما أصابهم من تقولات الناس وسيرهم حتى تنشر وتقباهم الناس أو ترفضها بثأنا ، فقد حافظ الأمير كان على مبدأ «أميركا للأميركان» وكان لهم مالادوه . وحافظ الأفريون على منع غيرهم من دخول المستعمرات فكان لهم ما اشتهروه وأصبحت كندا وأستراليا وزيلانده الجديدة وأفرقيمة الجنوبية محرمه على غير الجنس الأبيض « الأفري أخوال الأفري لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يجره » والأفريون محافظون على هذه التعاليم ولكننا قد نسبنا لها بل أننا خالفناها قمت ذات يوم أعطى في مدينة التواهي فاستحسن كلامي أحد السامعين من أهالي عدن ولم يكن يعرفني شخصياً فسأل أحد الناس فقال له اني من مصر فأخذ الرجل يفتنني في مدح المصريين وعلمائهم ، ولما قبل له اني فلان أحد مواطنيه ظهر عابه النجهم والاستصغار وقال « هذا أعرفه ينقل من الكتب » فلما أخبرت بذلك تذكرت مقالته أبو الملاء وهو قزوا ، معروف . .

وهنا انذكر حادثة في صيف فانه لم اشتت الحرب ورفع أهل الشام المصاحف على دعوس الرماح وكثر التامل تكلم كثير من التواد في جيش الامام على ثم نهض الاحنف بن قيس فقال كآمته المشهورة ومنها « . . . ولم تقاتل القوم لنا ولا لك وإنما قاتلناهم لله فان حال امر الله دوننا ودونك فاقبله فانك أولى بالحق وأحقنا بالتوفيق ولا أرى إلا القتال »
فأعظم هذه النمس الشفاء التي تقابل في سبيل الله وتنصب لما تعتقده حقاً وتجاهدون المبدأ ، فأين مثل هذه النفوس الكبيرة وهذا الانسان ؟

هبة الفكر

قام المسيح عليه السلام داعياً الى التوحيد بأمر به قصافد من المماكسات العظيمة والمقاومات العنيفة مأمئنه عن نشر الدعوة كما كان يجب ويرغب لائن اليهود حالواينه وبين قيامه بالعمل في نطق فسيح وكذبوا كل ما جاء به اليهم من الآيات والمعجزات مع انه عليه السلام آمن بكل ما جاء في التوراة وكانت نهايته ان حكوا عليه بالصليب

رفعه الله وجهه من كبد الخنازير . وقد كانت المسيحية تدعوا الى عبادة البدان وتبين
 للناس ان الخلق كلها عيال الله لا اليهود فقط ولما أعلن اليهود انهم صلبوا المسيح
 « والحقيقة أنهم ماقتلوه ولاصلبوه ولكن شبه لهم » ففرق أصحابه في الفترات ولم
 يجتمع لتعلمهم مرة أخرى بعد أن انشطر عقدهم الابدع مرور ٤٠ سنة وصاغت دعوتهم
 منذ ذلك آذاناً واعية ولكن رؤساء الدين أودعوها ألباناً لانهم جعلت من جاء
 بعدهم من الرؤساء يمنع الأمم عن درس الفلسفة والمنطق والعلوم والفنون ومناسبة
 العلماء الامداد اذ كان الخوف سائداً من ان العلم سبقه القضاء المبرم على الكنيسة وقد
 فعلموا فعلتهم الشنيعة في أسبانيا أيام محاكم التفتيش التي مودت حتى يتمهم طول الدهر فلما
 ظهر الاسلام كان من أهم مبادئه حرية الفكر حتى ان الانسان لا يكلف بالقيام بواجباته
 الدينية الابدع بلوغ سن الرجولة والتجيز بين النث والسمين ومعرفة الحقائق الخمس
 والخصم . وهكذا سار الاسلام وأمله ينشكرون في السكون والاثم حتى انشمر
 الاسلام وأنت الامم ثقافته التي طغت على أوروبا فتمضت على جمودها وكسرت
 قيودها وخرج النور برون بعد ذلك وأنبه بهير حل من عتالها وأسندت حرية الفكر
 وحرية القول طوراً جديداً في الدنيا حتى قضت على الرجعية البيزنطية والبابوية وأصبحت
 أوروبا غير من كاذ يعرف الناس ، أصبحت اليوم وقد قضت على سيطرة البابا الزمنية
 ونبتت الدين المسيحي وراء ظهرها ونفريا ولا بد من أن ننسك في اعتناق دين آخر
 مريح للأفئس من عبث الدهر بباب الأرواح السكينة والطمأنينة والأهل . ومحمور
 بحثنا الآن سيكون في التوائد المادية التي تحتها أوروبا من حرية الفكر في ربوعها
 لتعرف واجب ترك الحرية الفكرية حرة أو جعلها مقيدة بالسكينة :

كان البابا محدوداً فوق الذنب أي مديماً وكان المالك فرق الشرية وقوله قول
 الله والبابا نائب المسيح على الارض يمنع أن أراد فعل ما فيه في التردوس ويفر
 الذنب لمن يشاء ولكن أحكاماً أوروبا بالعرب في الاندلس وسورية وفلسطين
 هدمت صروح هذه العقائد فلما انحدرت الأفكار من قيودها الثقية وجدوا يبرون
 ان هذه آراء لا تستقيم أمام النقد ولا تنطق مع المنطق وهكذا قامت حرب شعواء بين
 الكنيسة والعالم أولاً ثم أعقبها حرب أخرى بين الحرية والاسمديد وطال الحزم وفازت
 الحرية فكانت حرية الفكر سبباً في انقاذ أوروبا من ويلات الجهل وظلمات الرجعية
 وأخذ الناس عقب ذلك ينتقدون الانظمة ومجالس الشورى وكتب الأدب وأقوال
 العلماء ونظريات رجال الأكايروس ونضاربت الأفكار وظهرت الصحافة بأبهى حالها

وكان للنقد البريء أثره الخالد في تقدم أوروبا أديبا وسياسيا وأخلاقيا
ولكن الحرية بكل معانيها طغت، وبغت في الغرب حتى تحررت النساء ونافسن
الرجال على مناصات القضاء وفي المستشفيات ودور الصناعة والمعامل وإدارات العمل وقد
بدأت الأيام تظهر فساد هذا النظام ولكن لا بد من التريث للحكم على ذلك نهائيا
والباشقية الحفارة والفاشية والاشتراكية المتطرفة كلها نتائج لحرية الفكر واني
من انصار حرية الفكر ، تلك الحرية التي سار على سننها النبي وأصحابه من بعده والتي
قام على دعائمها عصر العباسيين الذهبي وعصر الأمويين الأندلسي أما العصر الأموي
بالشام فقد ضعف على حربته الفكر كثيرا لأسباب سياسية ، بيد أنى أدرك الحرية
النامية تؤدي حتما إلى الفوضى والمادية ولا بد من فترة أو أزعاج يجعل هذه الحرية تسير
سيراً حكيماً كما هو الحال في كثير من ممالك الغرب ولو أنه لا يزال يتقصها النظام
الصحيح والروح الدينية المأقودة إلى أعلى درجات السكال .
والسياسة هي أشد الاساحة فتكاً بحرية الفكر لأنها تقضى بالاستبداد التام
والمستعمرات الأوروبية هي أنطق الشواهد على نتائج الضغط الذي ترك الشعوب
الشرقية من عرب وصومال وهنود وصينيين وجاويين في أحط درجات الجهل وفساد
الاخلاق لأن الاستعمار سلط الصماليك والاسافل على الاشراف الامائل وخذل
الشرف والمجد وبدد التاريخ المجيد حيث حل وسكن . وجعل الادنياء يتطاولون على
السادات أهل الفضل وأهل الارض وأهل الدولة وبذلك تضعضعت الاخلاق واقتدى
الناس بأدنيائهم وهم الادنياء لابرار عون شرفاً ولاكرامة لأحد ، وقد شاهدت أثناء
تجولاتي في يونان شريفة وقبائل محترمة أصبحت تحت أقدام الهوان في المستعمرات
يتضور أهلها جوعاً من قرص النقر والفانة والذين كانوا لهم عبيداً وخداماً صاروا
« اسف في الماء ونف في السماء » كأن الله أودعهم الأرض يبيعونها لاسيادهم المستعمرين
طاماً اجوافهم ملائمة بالحبش ، قاتل الله الاستعمار فقد قتل الشرف وأباح الخيانة
وصكافاً على المنكر

الجهاد

يحكى أن أحد أولاد الإمام علي رضي الله عنه دخل على معاوية وهو على فراش الموت فاستقبله معاوية بلشاط ومهمة كأنه في أهى حلال العاقبة ، ولما غادره انزأ سقطة على فراشة منهوك القوى ، ولما سأله عن سبب ذلك السلوك أجاب :

ومجلى للشامتين أنهم أنى لرب الدهر لا أتضعض
وهى سياسة عظيمة ترى اليوم معظم الرجال يعملون بها ، فكم من تاجر أشرف على الافلاس ولولا تجلده وتظاهرة بالقوة لسقط سقوطاً لا قيام بعده . وكمن من مرة رأينا انكثرة ثابتة أمام السكوارث ثبوت الراسيات كأنها من الصخر الصلب لا ترتزعها السكوارث ولا تمهما النقبات ولو أنها في أشد الحالات خطورة كما حصل لبان الحرب العظيم حين أشرفت على الاندحار اذ كان المورد نور تكلف يكابر ويشيع في اقطار العالم ان انكثرت أقوى الأقوياء فهي تتاضل وأحياناً تتجاهل وتختال ولأنسلم ، فلما أن يسلموا عند اليأس التام وتقوز عليهم أجمعين أو تسلم اليهم نهائياً كما كان حالها مع ارنلندا في الايام الأخيرة ومع الولايات المتحدة من قبل

ان القرني رجل صادق العزم ثابت الجنان لا يتطرق اليه الخور ولا الوهن ولا يمل ولا يسكل من العمل ، تراد دائماً كنشطاً مهتياً بعمله مجتهداً في اتقانه حتى لظالم اسقط بعض ضباط نابليون الاول من جور الأشغال المتواصلة فلا يتم بذلك أكثر من الأمر بمحماهم الى السستشي والاسنمرار في جهاده ، وقد لاحظت في الدكتور عطا حسين مثل هذا النشاط ، وكذا قل عن الحاجة ببس فانه يعمل أحياناً ليلاً ونهاراً عملاً تاماً متقناً يحمل الانسان يعجب به وبشاطه العظيم ، وقد يشعر العربي بالتعب ولكنته يتسهر حتى يتعود التعب فلا يعود يشعر بفتور أبداً ، وعلماء النفس يقبنون أن العادة اذا ما استحكمت صارت طبعاً وأن الاعصاب تستمد بعد العادة للقيام بالعمل وان كان منهكاً للقوى ، وأحسن الأمثال لذلك الجال الذي يحمل الاثقال فهو يحمل سخابة يومه وطول ليله أحياناً لا يفتر يوماً عن ذلك العمل المتواصل مع ما فيه من التعب حتى ولو أدركته الشيخوخة . كنت ذات مساء في دار التمثيل العربي في عدن وكان معنا رجل أجنبي كان في ماضى ألبه ضابطاً في الجيش الانكليزي يدعى المستر بنيل ، فعند ما بدأ التمثيل أخذ بعض الأوباش خارج المدرج بقذفون الاحجار على سقف الدار من الخارج ، وكان السقف من الصاج المضلع فيقع له دوى يصم الآذان فيناثر له كل من حضر من عرب (٢ - ١٠ - ١٩١٠)

وهند وغيرهم ، ولكن ذلك الضابط الانكليزي بقي منهمكا في ملاحظاته لا يتأثر بما هو واقع حوله ، فقات في نفسه ان رجلا تعود سماع قصص المدافع ودوى المفترقات لا يهتم بوقع حجارة على سقف الدار ، ولكن التذنب استمر الى منتصف الليل ، وقد حصل للناس نقص واتضاع - وقد تكدر صفوهم - فآخذوا يشتمون أولئك الرعاع الذين أساءوا الأدب الى ذلك الحد ، فلما كثر المخرج قال ذلك الضابط بيزود وهندو ان سبب هذا هو اهل البوليس ، وعندئذ فهمت سر بروده وسكونه وعدم اكترائه بما هو جارى ، فقد عرف الرجل لأول وهلة سبب ذلك الاخلال بالنظام وعرف ان الدواء الوحيد له هو عدم الاكتراث به ، وقد قرأت ذات مرة ان افرنسيا من المستخدمين في أحد القطارات رأى شنة موضوعة على طريق الركاب أمام راكب من الانكليز فأخذ يؤنبه على ذلك بصفة مزعجة ولكن الانكليزي لم يبال به وترك الشنة حيث هي وهر المستخدم مرة اخرى وثالثه وكان في كل مرة يطالب الانكليزي برفعها ولكن الانكليزي ظل يقرأ في جريدة كانت بيده خفيق الفرنسي او وفذف بالشنة خارج القطار وهو يسير باقصى سرعته فتخرج الانكليزي قائلا عندئذ وقال له انها ليست شنتي ! فتسكركم كان خجل الافرنسي ونده على تسرعته وعدم تحققة اولاهل كان الانكليزي هو صاحبها ام غيره ، وكان يرد ذلك الانكليزي وصبره طول الوقت على عجرة الافرنسي مؤدبا له أدبا يذكره طول عمره ، وعكدا فانا نسمع كل يوم اصوات الالوف من البشر تطالب الحكومات المستعمرة بحقوقها ولكن « من يقرأ ومن يسمع » فان تلك الحكومات لا تعيرها اهتماما حتى تسمع الاصوات ويقنط الناس ويصيههم اليأس ، وبمثل هذا البرود القتال يجبرون ذوى النفوس الخائرة على الانسحاب والاستسلام . وهم بالصبر وطول الاناة طالما حققوا المستحيل لان كل عمل يقومون به يبنونه على أساس متين

قرأت ذات يوم ان رجلا انكليزيا اخذ يدرس كيفية نوع من النبات ٣٠ سنة ثم يصور ذلك النبات في أول يوم من شهر مارس من كل سنة مبتدئا من ١٩١٢ م وغتيا ملاحظاته في ١٩٣٣ وقد ظهرت تلك الصور في مجلة اخبار لندن المصورة وهي تختلف من سنة الى اخرى وتتفق قليلا في بعض السنوات . وقرأت مرة في اللطائف المصورة ان شيخا انكليزيا قضى اياما طويلة يصور نوعا من الطير وكيف يفرخ ويبيض فك من الصبر والمداوي يحتاج مثل هذا العمل ؟ وكم من الجلد أيضا ؟ وان تعجب فاعجب لقوم بغوصون الى اعماق الباسميك لدرس حياة الحيوانات البحرية للاستفادة من العلوم والملاحظات التي تعود على الناس بالمنافع الجزيلة

ان طريقة ملاحظة الانسان لغيره وملاحظته لنفسه تعتبر عند اكثر علماء

النفس اولى من نظرية علم السلوك الانسانى لان الانسان اذا لاحظ نفسه ودرس سلوكه عرف عندئذ حقيقة الوجود وقدر شعور الغير واستنتج دغائهم وأخلاقهم في مرة نفسه ، وملاحظة الحيوانات تفيد كثيراً ، وقد سمعنا القرآن على درس حياة الطير وقد قال لناسبجانه تعالى في قصة قتل قابيل اخاه هابيل « فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى فاصبح من النادمين »

وقد استفاد التربويون من نظرية النشوء والارتقاء فوائد محسوسة ، وتوصّلوا بعد أن عرفوا أن الانسان والحيوان من أصل واحد إلى معرفة كثير من التبدد وأثرها في الصحة البشرية ، ولذا نجدهم قد دعوا المراقدين وصرفوا عابها الملايين من الجنيفات لدرس الرياح والأمطار والطقس والروابع والزلازل والمناخ والحد والجور والنجوم وغير ذلك في أمور الكون خلافاً لما هو الواقع في الشرق غالباً ، فقد سافرت مرة في ركب فيه رئيس بلدية عدن السيد طيحي وجناب السيد عبد الله عاوى المجرى الى « أبين » وعند العزم على الاياب راجعنا دفتر التسجيلات للحد والجور فوجدنا أن الحد يتبدى الساعة الرابعة مساءً إلى ما بعد نصف الليل فقررنا أن تؤخر الرجوع إلى الصباح لئلا تقع في وسط التاجيج إذ لا طريق لنا سوى شاطئ البحر ولكننا شاهدنا عدداً كبيراً من الحيوانات العرب - أى الصيادين - راجعين إلى بيوتهم ، ولما سألناهم عن المد قالوا انه في تلك الملاحظة يأخذ في الجور وكان ذلك مخالفاً بالكتابة لما يبدنا من التقارير فأخذت الأصوات تتسكّر عابنا أن نأخذ بكلام الحيوانات بحجة أنهم أهل خبرة ومعرفة بالبحر وشؤونهم وهكذا اضطررنا أن نزل عند ارادة رفاقنا بعد أن حاولنا أن ننهيهم عن تلك المجازفة ولكننا وفتنا بعد ساعتين في خطر الفرق ولولا لطف الله لما خرجنا الا إلى القبور ، وكل هذا نتيجة عدم الملاحظة الفنية من الحيوانات الذين فضوا سحابة الحياة في ساحل البحر بدون مائل ، وظلوا يجهلون أبسط الآءور بالنسبة اليهم وأكثرها بهم علاقة .

تقديمهم للمخبريات

ان الاهتمام بعلم النفس رقى باوروبا إلى أعلى مرا كز التمدن وبه توصّلوا إلى القبض على ناصية البشر ، ومن اعجب ما يذكر عنهم أن الرجل إذا خدمهم بإحلاص فأنهم يقدرون ذلك له ، ولذا أسسوا نظام التقاعد وروابب الشيخوخة

وبما يذكر أن صلاح العزبي خدم الإنكليز عند احتلالهم عدن فكان منهم
 أن استخدموا ولده عمر صلاح بعد موته إلى أن مات وقد استخدموا اليوم حفيده
 محمد عمر صلاح وأن تكن وظيفته خادماً بسيطاً ، ثم جادوا باللقاب لاجتذاب الفلوب
 حتى لقد كان الهندي يطوح بنفسه في المهالك حياً بأحد الألقاب ، وبما أن الأتقن
 جibat على الأثرة وحسب التعيم الباطل والمليذات الدينية الرائثة فإن هذه الألقاب
 وروائب التقاعد سوطدت قدم الاستعمار في العالم ويحكى أنه لما وصل وفد نجران ليجادلوا
 النبي عليه الصلاة والسلام قال لهم : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم
 ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » فصعق الوفد
 لروعة هذه الآلة البازلية وما احتوت عليهم من حق لا يهدمه نوازل الدهر ولا كوارث الحداث
 لأن ما بعد التوحيد بالله وعدم الاشرار له إلا الكفر الصريح ، وقد قال أبو حارة رئيس
 الوفد : والله لقد تأثرت بما قاله محمد فقال له صاحبه ومالك لا تؤمن فقال ألم تر هؤلاء
 القوم يعني الروم كيف أحسنوا البناء ووثقوا بنا وجادوا علينا بالأموال الطائلة والرافعة
 فإني لأجد في نفسي دافعاً لحيانهم . وما صرفه عن الإيمان الأشبهوات وأبائته فهاش
 يرافقه وخز الضمير طول حياته .

قريش

جاء النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة فآخا بين المهاجرين والأنصار و ربط
 اليهود (بنى قينقاع وبنى قريظة وبنى النضير) بعهود ومواثيق قبلها اليهود في أول الأمر
 فتمنن أنهم سبتمكنون من اجتذاب النبي لينصرهم على النصارى ولكن محمداً العالم الرباني
 والسياسى الروحاني وضع أساساً متيناً لانضمام العرب من قريش ومن الأوس والخزرج
 فدهبت جميع محاولات اليهود لالتريق عبنا ، ولما ذكروا يوم بعث وأوقعوا بين
 الأوس والخزرج مرة خرج عليهم النبي وذكرهم ووعظهم حتى بكوا وندموا ونعانقوا
 وصاروا لخوانا ، ولكن لما أخذت الاغراض تلعب بالعرب ففرق شملهم ، والاستعمار
 اليوم لم يبق هذا الزمن الطويل ثابت الاقدام الا بفصل سياسة الشريك بتسلط
 الادنياء على الاشراف واشباعهم الحائمين والاصغاء الى الوشايات من الحائنين الاشرار
 المنود اليوم في حرب مستمرة تارة يقوم المسلمون على الهندوس وتارة الهندوس
 على المسلمين فبرى الطوائف الهندية متفارقة متباعدة وكذا فل عن العرب

والجائعين والصينيين والصوماليين الخ لأن الاستعمار لا يعيش يوماً إذا تحدثت الأمة وعرفت مصالحتها ، والحقيقة أن الأهواء في هذه المعمورة ليس لها واحد والمطامع ليس لها شكيمة ، وقد جبل الإنسان على خلق الأعذار للاستئثار بكل ما يروقه من مباحج الحياة والقوة تلجأ كل لحظة إلى الحيلة والعنف والظلم والاستبداد لهمضم المساكين الضعفاء غير عابئة بما تقترب من جرائم وآثام لتصل إلى غايتها وترجع على دست الشرف وتقبض على ناصية الوجاهة والاختيار وتتجهم في الناس على هواها قائلة ان الغاية تبرر الوسيلة ، وهماي تلك القوة الغاشمة قد سخرت الناس في احراز المجد لنفسها والرفاهية لأهلها واستتقات بحيرات الممالك ومنافع الدنيا وتلاعبت بحقوق البشر وعبثت بشعور الانسان وقد كلفته المشاق الهائلة في سبيل انهاء ثروتها واحراز الرفعة والتبيل والعلامة ، فاستغرقت الكنوز واستخرجت الدفائن واستنزفت خيرات الأرض واحتكرت التجارة وأتقت الكواهل بالسكوس والضرائب والربا النامح مما يذيب القواد ويثير الاضطاد مع أن أراضي العالم واسعة لملايين البشر فوق الذين يسكنونها فهذه استراليا يمكن أن يعيش فيها ٣٠٠ مليون شخص ولكن أوروبا أثبت أن يسكنها أكثر من ٦ ملايين ، وهذه كندا وافر يقيا الجنوبية وغيرها ولولا ضن الغرب وطعمه واستبداده لما سلبت الناس بعضهم على بعض ودفن الرحمة بين برائن الشج ومخالب الظلم حتى أصبحت العواطف سقيمة جافة فلا تقوى البهون الاعلى ما يمرى مدامها ولا شمع في الآذان الأصوات المظلومين وأثارت المنكوبين المكبلين بقيود الجور وسلاسل المسف والعنف التي تشعب الجبال كل يوم لامتصاص دماء البشر والمشايق كل لحظة لاختطاف أرواح الاحرار ، وهكذا سادت وشادت ولكن الظلم مصرعه وخيم ولا بد له من نهاية ، وإذا لم يبقع العرب عن غيبه فلا بد أن تنزل به النوازل وخير لأوروبا أن تقتدى بالعرب الذين اساءوا الدنيا لصالح أهلها فدون لهم النار ، على صفحات الأيام وفوق جبين الدهر آيات خالدة من بحاسن الذكر وروائع المجد بما لا يقوى الدهر على طمس أثره أو أخلاق جديده .

الطامة

إن أوروبا غنية بمعادنها ومناجمها وناخها وأرضها الخصبة وأطوارها الغزيرة وخيراتها الكثيرة ومعانها النشيطة وغناها الطبيعي بكل معانيه ومن كل وجوهه تقريبا ، وفوق ذلك فإن موانئها كثيرة وحصينة ومصهنة وضعت الطبيعة في حزن منيع

يقبها الرياح والاثواء ولكن أوروبا كانت قبيل بضعة قرون تنخبط في دياجير الجهل وتوسف في قيود السطة الكهنوتية وتعمى وبلاات الأغراض ومصائب الالهواء إلى أن انتشرت ثقافة العرب من جامعات الأندلس ووقعت الحروب الصليبية عندئذ أخذت المدنية الغربية تتطور وتسير سيرا حثيثا مستضيئة بنور العلم مسترشدة بسراج الاخلاق ، فأوروبا لم تقم إلا بالعلم ولم ترق إلا بالاخلاق . وقد يقول قائل إن لأوروبا الفضل في الرقي المشهود في مصر وسوريا والعراق وفلسطين وتونس والجزائر والهند وإيران ولكن الحق الذي لا يأتى الباطل هو أن اليابان بلغت إلى ما بلغت اليه لأن أوروبا لم تستعمرها ولم تدخلها فتدخل أعزة أهلها أذلة ، ولولا أوروبا لكانت الحضارة في الشرق غير ماضية اليوم ولكن الناس أعمد حالا وأرواح بالا ، لأن المدنية الأوروبية أحدثت رقيا ماديا صرا وهو خلاصة تفكير شعب واحد ولو كانت الشعوب الشرقية طليقة حرة لباثت المدنية البشرية مستوى رفيعا ولتقدمت الانسانية كثيرا ولما نكبت بالولايات والارزاء التي تنش من آلامها الساعة لجيش أوروبا المائل التي تبسج لنفسها كل وسيلة لبوغ غايتها واشباع نهمها خلافا للشرق مهبط الوحى ومهد التجدد حيث الشرق لا يزال بتندى بالمبادئ الروحية التي كفر بها أكثر الغربيين وتهكموا على منتحايها « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »

أن أوروبا اليوم تكافح كفاحا يستنزف كل قواها وكل ليب يرى أن أوروبا أخفقت في القرن الماضى إذ فيه نكصت إيطاليا على أعقابها أمام الحبشة ثم تدهور الجيش والامطول الروسى أمام اليابان سنة ١٩٠٥ وخربت أوروبا في حرب سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ بل تلك المجزرة البشرية الهائلة ، وصعق اليونان ومن خلفهم انكسرت أمام الاتراك وقد استقلت اليمن وسجد والافغان وإيران وراحت أرنلدا من الامبراطورية البريطانية وهاجت الهند واتجهت مصر وانفجعت العراق وسيفضى على الصهيونية والوطن القومى لأن شاء الله

ثم أخذت الأزمة الاقتصادية بخناق أوروبا واندثمت عنهاروسيا وأخذ الأسبان يقدرون فصل الحرب وأصبح العالم في حالة انقلاب مدهش ، وكل ذلك الانهزام راجع الى اسباب أهمها :

شرب الخمر . ضعف الدين . الطمع . الظلم . الغرور . الخلاعة . الآثرة . فان هذه هى اسباب الخطا أوروبا وفشلها الحاضر فاما ان يقوم الشرق على اقدام ثابتة أو يقل عليه السلام . هذا وغيره فان الصعاب كلها تهيمت آمالت الساعى الى الاحجام وأفعدته

عن الاقدام ، فاذا كان صبوراً جليلاً عاقلاً وطن النفس على اقتحام الاخطار ومقاساة
الاهوال لا تسكل عزيمته ولا يني جهده حتى يبلغ غايته المنشودة وان طالت الايام
وعظمت النعقات مع العلم ان كل عمل لا يخلو طريقه من المزالق والعقبات وانه
لا فوز الا للهام المقدام الجسور الطلاح صاحب النفس الجبارة والارادة الحديدية وفي
الحنان اقول : ان تأخرنا عن محاربة الهمم النبية ناشىء عن كلال في مضائنا وخور في
انفسنا لاعن خمود في حميتنا او قصور في فهمنا . والشاهد هو وجود رجال بين اثباتنا
تتبعهم المحافل ويشار اليهم بالبنان ، وسبب كل هذا التقهر هو اعتمادنا على سوانا في
جميع اعمالنا وتواكلنا أمام المساعي المهمة واخر نصيحة أقولها لانباء الشرق هي ان
يدربوا صغارهم على إدارة شؤونهم منذ الطفولة ليتدرجوا في سبيل الاعتماد على انفسهم
في كل اعمالهم . وفي جميع مراحل الحياة ، لأن الرجل وإن شاخ وكبر فانه يجرى على
ماتاقنه في المهل واقتبسه أيام طفولته فاذا نشأ على الجبن ودممق المزجة والانسكالك على
الغير نزل الى ميدان الجهاد وهو كليل الهمة هباب من المصاعب يريض الفكر سقيم
الرأى عاجز عن إدارة شؤونه . أما من رياه الزهوان وحسنته الايام فانه يزدد بأساً كلما
عزت المعاليل وتراكت المصاعب ، حتى يتربع في دمت المجد ويعلو على هام الدهر

واني أقدم شكرى وخالص امتناني لاخواني أعضاء نوادى الاصلاح العربى
الاسلامى في عدن والتواهى والشيخ عثمان الدين تكرموا بالاصغاء الى في نوادهم
الموقرة والفضل يعود لهذه النوادى التى لولا رغبتي في نقض اعضائها لما كنت
أقدمت على وضع هذا الكتاب الذى حشنى عليه صديقتى الشيخ على بن أحمد با كثير
الكتاب التحرير والشاعر الكبير . وقد كان تأليفه في أيام معدودة وفي ساعات العمل
المستراكم ، ولذلك يجدر بي ان أطالب من الفاضل الكريم ان سبل على العنرات ثوب
المعذرة لأني لست من علماء الاخلاق ولا من فلاسفة علم السالك البشرى ولكن
التسكرة بهما كانت نافذة فانها لا تخلو من فائدة ، وجل قصدى ان يندفع قوى بهذا
الكتاب والله الموفق للصواب والسلام

محمد على ابراهيم لقمان

سنة ١٣٥٣ هجرية

بربرة « الصومال »

فهرس

صفحة	
٥	الاهداء
٦	كلمة أمير السديان
٧	مقدمة المؤلف
٩	كيف تقدم الأورويون
١٠	نظام المدارس
١٢	تعليم البنات
١٥	الاعتماد على النفس
٢٠	العمل
٢٦	الرياضة البدنية
٢٨	العزم
٣٣	الاستعداد
٣٩	اغتنام الفرص
٤١	النظام والترتيب
٤٦	الاستفاد
٥٢	الاتحاد
٥٨	التخصص في العلوم والفنون
٦١	الشعور القومي
٦٢	النصح والارشاد
٦٤	المصالح العامة
٦٨	المبدء
٧٠	حرية الفكر
٧٣	النضال
٧٦	تقديم الخدمات
٧٦	فرق تسد
٧٨	الخاتمة

نظرية الشورى

في الاحوال الشرقية الحاضرة

تأليف

محمد علي الخطيب

هو الكتاب النفيس الذي وضعه الأستاذ الطاهر صاحب جريدة الشورى في
خلال احتجاجها الوقتي ، ففيه تجرد الفصول السياسية والنقد الادبي والنقد
الاجتماعي والنقد الاخلاقي والنقد السياسي وشرح ظلم الاستعمار الح وهو يباع
! ١٠ قروش ويطلب من الاماكن الآتية :

مكتبة ومطبعة السادة عيسى الباني الحاي وشركاه والحلال وهندية والنجارية
والمكتبة الألمانية بشارع عماد الدين بمصر
والمكتبة النهائية بسورابايا — جاوة
ومكتبة السيد عبد الله بن عفيف بشرون — جاوة
وجريدة الهدى بسنغافورة

وسيطر له قريباً كتاب « خطرات الشورى » وهو شقيق كتاب النظرات
وسيكون على منواله ومثاله

۱۹۳۲



۳۰/۱/۵۱

**MUSLIM UNIVERSITY LIBRARY
ALIGARH**

This book is due on the date last stamped. An over-due charge of one anna will be charged for each day the book is kept over time.

<p>۱۰/۱/۵۱</p>			
		۱۲/۵۶	

م ۱۹۲		م ۱۹۱		م ۱۹۰	
۱۳۵۶		۳۰۱۵۱		۳۰۱۵۱	
بازار نقد الخربیتون					
Date	Not	Date	No.	Date	No.
	۶۹۲				